جامعة آكلي محند أولحاج – البويرة –
كليـــــة العلوم الإنسانية والاجتماعية
قســـــــم التاريخ

مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

# ظاهرة التدين في المغرب الإسلامي بين القرنين 7 و9هـ/13 و15م

## تلمسان أنموذجاً

- إعداد الطالبين:
  - سليم زواتيني
  - مرادبوترعة

إشراف :
د/ رضا رافع

أعضاء لجنة المناقشة

| اسم الأستاذ | الرتبة | الجامعة | الصفة |
|---|---|---|---|
| د.عبد الله قبلي | | جامعة البويرة | رئيسا |
| د. رضا رافع | | جامعة البويرة | مشرفا ومقررا |
| د.فهيمة سعودي | | جامعة البويرة | مناقشا |

السنة الجامعية :1444هـ/1445هـ-2023م/2024م

بسم الله الرحمن الرحيم

## شكر و تقدير

نحمد الله عز وجل ، كل الحمد كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه فلك الحمدحتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت ولكالحمد بعد الرضى باركت في أوقاتنا ويسرت أعمالنا وامددتنا بالهمة والمثابرة من اجل المواصلة ، وكلما سألناك ربنا أعطيتنا فلك الحمد كثيراً.

وانطلاقا من قول النبي صلى الله عليه و سلم:(لا يشكر الله من لا يشكر الناس)، فنتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذنا الفاضل الدكتور رافع رضا الذي تفضل بالإشراف على هذه الرسالة وساعدنا بكل تواضع وكرم.

كما نشكر جميع أساتذة قسم التاريخ لجامعة البويرة، أن مهدوا لنا الطريق للوصول إلى هذه النقطة من مسارنا الدراسي، كما لا ننسى كل من مد لنا يد العون و لو بابتسامة صادقة

# إهداء01

الحمد لله الرحمان الرحيم والصلاة والسلام على النبي الكريم أما بعد

أهدي ثمرة جهدي المتواضع إلى نبع الحنان وجسر الأمان إلى من سقتني بعطفها ورعتني بدعواتها أمي العزيزة

إلى من تحمل قسوة الأيام وتعبها في سبيل إيصالي إلى أرقى المراكز أبي الغالي اسأل الله تعالى أن يديم عليها الصحة والعافية ويجزيها عني خير الجزاء الى من شاركتني اجمل ايام حياتي زوجتي الغالية الى فلذات كبدي ابنائي مارية

مصطفى ، اويس، والى جميع اخوتي واخواتي وكل افراد عائلة بوترعة ومرسلي

الى زميلي في البحث والعمل سليم زواتيني والى مصطفى يونسي وابراهيم ضيف

وكل عمال متوسطة عباد محمد والى اخواني مراد زقومي، الحاج كرفاح ، اسماعيل خريبش وكل من لم نذكرهم وفي القلب مقامهم .

مـــراد

# الإهداء02

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد اشرف المرسلين

اهدي ثمرة هذا العمل المتواضع الى التي جعل الله الجنة تحت قدميها امي حفظها الله ورعاها وأطال في عمرها

الى منارا تنيعلى طلب العلم وكان لينعم لسند أبي حفظه الله ورعاه وأطال عمره

الى رفيقة الدرب وصديقة الأيام كلها بحلوها ومرها زوجتي الغالية خديجة

الى زينة حياتي و بهجتها، الى الإبتسامات التي تغدق علي بالأمل أبنائي

فرح و محمد معتز بالله، وأحمد يزن ، وبراء حفظهم الله.

الى من يعجز اللسان عن وصفهم ويرتاح القلب بوجودهم إخوتي وأخواتي

وخاصة المدلل نبيل، والى كل عائلة زوجتيني وعزي.

الى زميلي في البحث والعمل مراد واخيه مراد،الى كل الأسرة التربوية لمتوسطة

الشهيد عباد محمد، الى كل من نسيهم قلمي و ضمهم قلبي.

سليم

مقدمة

**مقدمة:**

يعتبر سقوط دولة الموحدين (668هـ/1269م) من الأمور التي أحدثت تغييراً في بلاد المغرب الإسلامي لعل أهمها وأخطرها انقسامه إلى ثلاث دويلات: (المرينيين في الغرب، الحفصيين في الشرق والزيانيين في المغرب الأوسط) وكان لهذا الأمر تداعيات كبيرة مست مناحي الحياة العامة في منطقة الغرب الإسلامي عموما، وما يهمنا نحن في هذا الصدد هو ذلك الأثر الذي مس الجانب الديني والاعتقادي في المجتمع التلمساني خلال فترة حكم الدولة الزيانية، والذي يتجلى من خلال ظاهرة تدين الأوساط التلمسانية وهي الظاهرة التي سنحاول التطرق إليها ووضعها في سياقها التاريخي.

وتكمن أهمية الموضوع في كونه دراسة تاريخية ترصد لنا الأبعاد المختلفة التي تتفاعل مع ظاهرة التدين باعتباره مظهرا لا يختلف عن مظاهر الحياة الأخرى لأن مظاهر السلوك الديني تكون متداخلة مع مختلف الجوانب التي تعبر عن القيم والاعتقادات الدينية الهامة للإنسان الذي يؤثر ويتأثر بها.

**أسباب ودوافع اختيار الموضوع:**

لعل ما يمكن ملاحظته أن جل وأغلب الدراسات التي أنجزت عن تلمسان ودولة بني عبد الواد تطرقت بإسهاب إلى الجوانب السياسية والحضارية بشكل كبير وذلك على اعتبارها الجانب المضيء في تاريخ هذه الدولة، لكن في المقابل نلاحظ أن هناك القليل من البحوث والمساهمات ممن أشارت إلى هذا الجانب المتعلق بالاعتقادات وكذا نمط تفكير الفئات الاجتماعية.وباعتبار أن هذا الجانب يعد نواة لبقية الجوانب الأخرى ارتأينا أن نساهم بهذه الدراسة المتواضعة، وذلك رغبة منا في التعرف على الواقع الديني داخل المجتمع التلمساني خلال العهد الزياني، والذي يعد من أهم الفترات التي شهدت فيها مدينة تلمسان تطورا وازدهارا ملحوظا في مختلف مجالات الحياة، مما سمح لها بتبوء مكانة هامة في المغرب الأوسط بصفة خاصة والمغرب الإسلامي بصفة عامة، كما

نسعى من خلال هذه الدراسة إلى إبراز ظروف وأشكال التدين بالمدينة هذا بالإضافة إلى إظهار مكانة علماء الشريعة في المجتمع والدور الذي مثلته هذه الفئة في الحياة الاجتماعية باعتبارهم مرجعا لكثير من أفراد المجتمع التلمساني، فمن خلالهم يقاس مدى ازدهار الدولة ورقيها الحضاري.ولقد كان الهدف من هذه الدراسة:

– المساهمة في إثراء النقاش العلمي فيما يخص موضوع الدراسة وإبراز الجوانب المتعلقة بالحالة الدينية العامة، التي كانت عليها منطقة تلمسان مع المساهمة في التعرف على دور علماء الشريعة في الإشعاع الحضاري للمدينة خلال الفترة المدروسة.

–الوقوف على التطورات الدينية التي عرفتها المنطقة خاصة التي كانت لها علاقة بالحياة الاجتماعية ومحاولة إبراز دور السلاطين الزيانيين في الاهتمام بالجانب الديني ومدى تأثرهم به وتجسيده في نواحي المعاملات والوظائف داخل بلاط السلطان.

**الإشكالية الرئيسية:** إذا كان الدين الإسلامي قد ثبّت أقداما في بلاد المغرب الإسلامي عموما وتلمسان على وجه الخصوص واستطاع أن يتغلغل في نفسية وعقلية السكان بالنظر إلى الظروف التي ساهمت في جعله الملجأ الوحيد المؤثر على حياتهم، ولمحاولة الكشف عن جوانبه لابد من تحديد محور الموضوع الذي نسعى إلى إبرازه في الإشكالية التالية: **ما واقع التدين في المغرب الإسلامي بتلمسان بين القرنين (7و9) هـ ؟**

وتندرج تحت هذه الإشكالية عدة تساؤلات فرعية أهمها:

– ما هو الإطار المفاهيمي للتدين والدين ؟

– ما هي أهم مظاهر التدين الشعبي لتلمسان في العهد الزياني بين القرنين (7و9) هـ؟

– فيما تمثلت جوانب اهتمام السلاطين الزيانيين بظاهرة التدين ؟ وما طبيعة العلاقة بين الحكام والمتدينين؟

ولعل الإجابة عن إشكالية البحث ومجموعة التساؤلات المطروحة نكون قد حققناها وفقا لما توفر لنا من مادة علمية والتي وضعت في هيكل عملي تمثل في خطة البحث والتي اشتملت على مقدمة، وثلاث فصول لكل منها ثلاثة مباحث، وخاتمة .

فالمقدمة تعرضنا فيها إلى التعريف بالموضوع وأهميته، وأهداف الدراسة مع ذكر دوافع اختيار الموضوع ثم وضعنا إشكالية تدرس الموضوع ونجيب عليها من خلال الفصول مع المنهج المعتمد ونقد لبعض المصادر والمراجع التي شكلت عماد البحث.

أما **الفصل الأول:** فيندرج تحت عنوان " المدخل المفاهيمي للتدين و الدين " وقسمناه إلى ثلاثة مباحث حيث تعرضنا في المبحث الأول: إلى تعريف التدين لغة واصطلاحا ، كما عرضنا في المبحثالثانيالفرق بين الدين والتدين، أما في المبحث الثالث تحدثنا عن الواقع الاجتماعي و السياسي و الاقتصادي لتلمسان بين القرنين (7و9) هـ .

**والفصل الثاني:** جاء موسوما بعنوان "التدين الشعبي"والذي قسمناه إلى ثلاثة مباحث: تطرقنا في المبحث الأول إلى التدين الشعبي في العهد الزياني (السني و الفلسفي) ، وفي المبحث الثاني إلى الاعتقاد في كرامات الأولياء ، وفي المبحث الثالث تعرضنا إلى تشجيع الدولة الزيانية للتدين الشعبي.

**وفي الفصل الثالث:** الذي جاء بعنوان "التدين الرسمي" وقد قسمناه إلى ثلاثة مباحث تحدثنا في المبحث الأول عن التصوف الرسمي في العهد الزيانيوفي المبحث الثاني تناولنا أهم أقطاب التدين في العهد الزياني، وأخيرا تطرقنا في المبحث الثالث إلى مظاهر تشجيع الدولة الزيانية للتدين الرسمي . وعقب كل ذلك قمنا بوضع خاتمة ضمت ما توصلنا إليه من استنتاجات تعبر عن المباحث.

وبغية تحقيق الإجابة عن كل ما يتعلق بهذا الموضوع اعتمدنا على المناهج التالية:**المنهج التاريخي الوصفي** : القائم على تتبع الأحداث والمراحل التاريخية وتقديمها وتمحيصها ثم تنسيقها ومن خلال ذلك قمنا باقتفاء أثر وسيرة الصلحاء والفقهاء الذين

أفردت لهم كتب التراجم والمناقب حيزا هاما من نشاطهم ودورهم في المجتمع، والذي يبدو مناسبا لمعالجة الموضوع مع وصف أحوال المجتمع الزياني.أما **المنهج التحليلي** فلقد فرضته علينا طبيعة الدراسة التي تعتمد على التحليل واستنباط بعض الاستنتاجات التي تتعلق بنمط الاعتقاد عند التلمسانيين.

كما تم دراسة هذا الموضوع بالاعتماد على قائمة من المصادر والمراجع من أجل الإحاطة بالموضوع من جميع جوانبه وإخراجه في شكل متكامل العناصر وأهمها ما يلي:

**أ/ كتب المناقب** :تعد من المصادر الأساسية الكاشفة عن التاريخ الاجتماعي في المغرب الأوسط ومنها :

**1/" أنس الفقير وعز الحقير"** لابن القنفذ القسنطيني ، وفيه ذكر رحلته إلى تلمسان التي دامت أكثر من شهر عمت المغرب خلالها مجاعة عظيمة سنة 776هـ حيث فصل في ذكر مظاهرها الاقتصادية والاجتماعية و الدينية أين استفدنا منه في وصفنا للأوضاع العامة للمدينة خلال تلك الفترة وغير ذلك .

**2/" المناقبالمرزوقية** " و الذي يعد من أهم الكتب وذلكلما يقدمه من إمكانات في التاريخ الاجتماعيوالديني عامة،حيث لا يمكن لمؤرخ الظواهر الدينية أن يتجاهلهذا النوعمنالمصادر والذي أفادنا في التعرف على أهم علماء الشريعة والسلاطينالزيانييينودور هذهالفئة فيالمجتمع،بالإضافة إلى الجوانب الاقتصادية والاجتماعية السائدة آنذاك .

**3/" المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا الحسن "**

**ب/ كتب التاريخ:**وهذه المؤلفات أفادتنا كثيرا في التعرف على الجانب الاجتماعي والثقافي نظرا لطابعها الموسوعي فقد كانت استفادتنا منها نوعية لأنها تناولت بالدراسة والتحليل تاريخ بلاد المغرب الإسلامي ومن أبرزها:

**1/ بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد"**: لأبي زكريا يحي بن عماد بن خلدون (ت 780 هـ/ 1379 م) وهو كتاب يتكون من جزأين وقد أفادنا كثيرا في كل جوانب

البحث حيث استفدنا من الجزء الأول فيما يخص وصف مدينة تلمسان وأصل بني عبد الواد الذين أسسوا الدولة وأخذوا تلمسان عاصمة لهم وكذا في ذكر من أنجبته من علماء ومتصوفة، أما فيما يخص الجزء الثاني والذي يبدأ منذ استلام السلطان أبو حمو موسى الثاني الحكم سنة (760هـ/1359م) حتى مقتل الكاتب سنة (780هـ/ 1379م) وقد استفدنا منه في دراستنا لظاهرة الاحتفال بالمناسبات الدينية التي كانت على عهد السلطان أبي حمو موسى الثاني.

**2/ المقدمة:** لعبد الرحمان بن خلدون (ت 808 هـ/1406 م) الذي أفادنا في دراسة الجانب الصوفي وجوانب أخرى من البحث بالإضافة إلى مؤلفه الآخر بعنوان: "العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" والذي يعد شاملا لتاريخ بلاد الإسلام في المشرق والمغرب وإن كان يطغى عليه الجانب السياسي والعسكري حيث استفدنا من جزئيه السادس والسابع لاحتوائهما على معلومات حول مدينة تلمسان والمغرب الأوسط وقد استفدنا منه في مختلف فصول الدراسة.

3/ **واسطة السلوك في سياسة الملوك:** لأبي حمو موسى الثاني (ت 791هـ/ 1389م) الذي يعد أهم مصنف ضمن مرايا الملوك كتبه لولي عهده أبي تاشفين وقد عالج فيه بدقة القواعد التي على السلطان وحاشيته، وهذا الكتاب يعد عمادا رئيسيا في تناول مختلف القضايا التي عالجها الموضوع.

**4/ نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان وذكر ملوكهم الأعيان ومن ملك من أسلافهم فيما مضى من الزمان محمد بن عبد الله التنسي المتوفى سنة 899هـ/ 1494م:** ويعتبر كتابا مكملا للكتب السابقة (بغية الرواد والعبر) وتعود أهميته إلى أنه يتحدث عن تاريخ الدولة الزيانية والمغرب الأوسط في مختلف النواحي وكذا من خلال

عمل الكاتب في القصر الزياني داخل تلمسان ومشاركته في اتخاذ القرار السياسي لذلك نجده يميل إلى مدح السلاطين الزيانيين وقد استفدنا منه في جوانب متنوعة من الدراسة.

**ج/ كتب الطبقات والتراجم:**

ويأتي هذا النوع من المصادر كأهم المؤلفات التي تضمنت قدرا معتبرا من الفقهاء ورجال التصوف، وأوردت نصوصا هامة تتعلق بمجهوداتهم في الميدان الاجتماعي ونشاطاتهم العلمية والفكرية وأولها:

**1/ البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان:** لابن مريم المليتي التلمساني (كان حيا) ولقد ترجم فيه المؤلف لعدد كبير من صلحاء تلمسان وعلمائها واهتم بذكر بعض المجاعات في بعض التراجم ولقد كان ذا قيمة كبيرة لأمانة صاحبه الذي أفصح في جل مواطن كتابه عن موارده التي تنوعت بين كتب التراجم والتاريخ والفقه والرحلات الخاصة وهذا ما يرفع من قيمته التوثيقية، استفدنا منه بالتعرف على بعض رجال العلم والتصوف في تلمسان.

2/ **تلمسان في العهد الزياني"** لبسام كامل عبد الرزاق و**الكرامة الصوفية في منطقة تلمسان دراسة انثروبولوجيةسيميائية من خلال مدونة ابن مريم "البستان"** لحكيم ميلود **والمنهج الفائق والمنهل الرائق"**، لفؤاد طوهارة.

وغير ذلك من العديد من المصادر والمراجع الثانوية التي خدمت الموضوع ثبتناها في قائمة المصادر والمراجع.كما تجدر الإشارة إلى الصعوبات التي واجهتنا خلال إعدادنا لهذه المذكرة ومن أبرزها:

– صعوبة كشف جوانب ظاهرة التدين في المجتمع التلمساني خلال الفترة الزيانية وذلك بسبب: قلة المادة العلمية، فإن وجدت فهي بلا شك متناثرة في بعض المؤلفات وتتطلب جهدا مضاعفا لرسم صورة واضحة وكاملة عن ظاهرة التدين، حيث توجب علينا أن نبحث في مؤلفات عديدة، فكانت كتب المناقب خير عون لنا في إنجاز هذه الدراسة.

– جل الدراسات السابقة التي تناولت جوانب من هذا الموضوع كانت دراسات اجتماعية انثروبولوجية.

– بالإضافة إلى الصعوبات المنهجية التي يطرحها التعاطي مع كتب النوازل والفقه من خلال الصعوبة مع المادة التي تقدمها.

وفي الأخير نرجو أن نكون قد حققنا من خلال عملنا هذا خطوة في سبيل البحث العلمي الجاد وأن يكون إضافة موفقة.

# الفصل الأول: التدين

## المبحث الأول: تعريف التدين

- **لغة:**

إن التدين مصطلح مشتق من الدين بكسر الدال المهملة، والجمع منه الأديان ويقال: دان بكذا ديانة، وتدين تدينا فهو متدين، ودنت الرجل تدينا إذا وكلته إلى دينه والدين الإسلام[1] وذلك لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [آل عمران: 19] ، وقوله أيضا عزل وجل: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: 85] .

والتدين هو الطاعة، وقد دنته أو دنت له أي أطعته، وتدين المسلم يتمثل في التسليم لله عز وجل والتذلل والخضوع والطاعة له سبحانه، وجمع ذلك كله العبودية لله جل وعلا ولذلك سمي الإسلام، ومن هذا المعنى فالإسلام هو التسليم والاستسلام المطلق لله بالعبودية والطاعة،والاستسلام لابد أن يشمل القلب والجوارح بخضوع كل منهما[2] وباختصار يمكننا القول أن التدين في دلالته اللغوية يعبر عن معنى الالتزام بالدين.

[1] محمد بن مكرم:ابن منظور: **لسان العرب**، ط 1، دار صادر، بيروت، لبنان، د ت، ج 13، ص 169. محمد محي عبد الحميد ومحمد عبد اللطيف السبكي: صحاح اللغة، مطبعة الاستقامة، القاهرة، مصر، د ت، ص 172.

[2] نور الهدى يحياوي: **تدين المرأة الجزائرية**، مذكرة ماجستير في الأنثروبولوجيا، جامعة تلمسان، 2004-2005، ص 93.

- **اصطلاحا :**

عند تعرضنا لمفهوم التدين نجد بعض التداخل بين علماء الدين والاجتماع لذلك نلاحظ وجود عدة تعريفات له نذكر منها:

**أ**-أن التدين هو **الالتزام بعقيدة دينية** أو نحلة معينة، وأداء فرائضها ومناسكها وطقوسها وشعائرها، وكل ما يتصل بها من العبادات نحو المعبود، سواء حق أو باطل لخطاب الله سبحانه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: 6]

**ب**-أن التدين هو **نمط سلوكي وأسلوب حياة**، بغرض التمسك بعقيدة معينة يلتزمها الإنسان في سلوكه، فلا يؤمن إلا بها ولا يخضع إلا لها، ولا يأخذ إلا بتعاليمها ولا يحيد عن سننها وهديها، ويتفاوت الناس في ذلك قوة وضعفا[1].

**ج**- أن يكون التدين هو **الإرادة لتعديل السلوك** استجابة لمضمون العقيدة الدينية، وقد أوجز النبي صلى الله عليه وسلم حقيقة التدين في وصيته لسفيان بن عبد الله الثقفي رضي الله عنه والذي قال: "قلت يا رسول الله قل لي في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا بعدك (وفي حديث أبي أسامة "غيرك") قال: قل آمنت بالله ثم استقم"[2] وعند شرح الحديث نجد أن "قل آمنت بالله" تعني حقق الإيمان في قلبك، أما "ثم استقم" فبمعنى في أعمالك وعبادتك وفي أخلاقك وفي تعاملك مع الحياة والناس[3] وهذا الحديث منتزع من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ

---

[1] محمد حسين الذهبي: **الدين والتدين**، مجلة البحوث الإسلامية، ع 1، 1395 هـ/1957 م، ص 51.

[2] مسلم بن الحجاج: **صحيح مسلم**، تح، أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، ط 1، دار طيبة للنشر، الرياض، 2006، م ج 1، كتاب الإيمان، باب جامع الأوصاف، حديث رقم 38، ص 38.

[3] ابن رجب: **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم**، تح ماهر ياسين الفحل، ط 1، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، 2008، ص ص 471-472.

وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: 30] هذه الكلمات جمعت معنى الدين كله والذي هو تحقيق الإيمان بالله بالقلب، ثم الاستقامة على عبادة الله في الأعمال والأخلاق وفي التعامل مع الناس، فالتدين إذا لابد أن يحكم حياة المسلم كلها في قلبه وروحه ونفسه وعواطفه ومشاعره وأعماله ومواقفه[1].

**د**–أن التدين هو ذلك التقمص من طرف الفرد والجماعة للدين في مستواه النفسي والطقوسي، وما يمكن أن يكون طريقة فهم الفرد الشخصية للدين، وكيفية التزامه العملي به[2] أي أنه الكيفية التي يعيش بها الناس معتقداتهم الدينية في حياتهم اليومية.

**و**–كما عرف التدين بأنه ذلك الجهد البشري، ولأنه بشري يمكن أن يكون صاعدا متقدما متلائما مع العصر وأسئلته، ويمكن أن يكون العكس من ذلك، وهذا الجهد الديني ولأنه اجتهادي فهو قد يصيب وقد يخطئ قد يراعي قواعد الاجتهاد الزمكانية أو قد يكون تقليدا مجترا من الآخرين[3].

**ه**–ومن تعريفاته أيضا أنه الطريقة التي نرتب بها المكان والزمان والطقوس التي نمارسها، وهو تعبير عن الحدود التي نرسمها لوجودنا ولمواقعنا داخل المجتمع، وتكون هذه الحدود نفسية داخلية وذات امتدادات خارجية اجتماعية، فالموقع الذي نحتله داخل جماعة ما، هو في نفس الوقت سبب ونتيجة لتلك الحدود النفسية والاجتماعية التي نتشارك في تبنيها مع فئة اجتماعية أو مع جماعة ككل[4].

---

[1] نور الهدى يحياوي، المرجع السابق، ص 94.

[2] نور لعروسي: **سيكولوجية التدين ومؤسسته في المغرب**، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، المغرب، د ت، ص 06.

[3] نادر المتروك،**نهاية التدين وما بعد التدين**، صحيفة الوقت، البحرين، ع 4598، جمادى الأول 25/1428 ماي 2008، ص 37.

[4] بن عمر حمدادو، **ظاهرة المزارات والأضرحة بدمشق**، مجلة الثقافة الشعبية، البحرين، ع 27، السنة السابعة، خريف 2014، ص 97.

ومن ذلك فإنه يمكننا القول أن التدين هو ظاهرة اجتماعية وجدت في المجتمعات الأساسية من أول وجود للإنسان وبقيت إلى يومنا هذا، تشترك فيها كل الجماعات البشرية على مدى تاريخها الطويل، وعلى اختلاف ما بينهما من بداوة وحضارة وتخلف وارتقاء[1]، فالتدين له وضوح في منطقة أو بلد معين يتركز فيه أكثر من غيره ويكون سمة للبلد وأهله، وقد يكون أقل في بلد آخر غير متدين، ويرجع ذلك إلى مدى تمسك الناس بأهداف الدين الكلية وبمدى تمسكهم ظاهرا وباطنا[2].

وفي العموم فقد توجه المجتمع الإسلامي بأغلبية إلى التمسك بالدين ومحاولة تمثيله في جميع مناحي الحياة، وذلك باستمرارية صبغ الحياة السياسية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية بالصبغة الدينية التي تراها الأمة مجتمعة.

- **تعريف الدين**

**أ/ تعريف الدينلغة :**

تطلق كلمة الدين في اللغة العربية على عدة معان منها: الجزاء والمكافأة، الحساب، الطاعة، الذل، العادة، والشأن، القضاء[3] وجملة القول: إن كلمة دين عند العرب تشير إلى علاقة بين طرفين يعظم أحدهما الآخر ويخضع له، فإذا وصف بها الطرف الأول كان خضوعا وانقيادا، وإذا وصف بها الطرف الثاني كان أمرا وسلطانا وحكماوإلزاما

[1] محمد حسين الذهبي: المرجع السابق، ص ص 51-52.

[2] عبد العزيز بن زيد آل داود، **تحولات التدين في المجتمع السعودي**، منشورات عيناء، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1430 هـ/2009 م، ص 22.

[3] ابن منظور، **لسان العرب**، دار صابر، الجزء 13، ط 1، بيروت، بدون سنة، ص 164.

وإذا نظر إلى أمر الرباط الجامع بين الطرفين كانت الدستور المنظم لتلك العلاقة أو المظهر الذي يعبر عنها[1].

وأما كلمة الدين في اللغة الأجنبية فإنها تترجم إلى Religionباللغتين الفرنسية والانجليزية، وهي مشتقة من اللاتينية Religion وتدل في الأصل على معنى الربط أو الارتباط[2].

وهنا تبدو الترجمة التي تتداولها المعاجم والقواميس لكلمة Religion من اللغة العربية إلى غيرها ترجمة خاطئة، وهناك فرق واسع جدا بين كلمتي "دين" و "Religion" فكلمة "دين" في اللغة العربية تحمل عدة معان كما ذكرنا آنفا... أما كلمة Religion لا تحمل إلا معنى الطقوس، ولا تحمل المعاني التي تحملها كلمة "الدين"، فمن الخطأ أن نترجم كلمة Religion بـ "الدين" فالفرق واسع، ولا يوجد لدى غير العرب لفظة تعادل كلمة "دين"، والإسلام دين يحمل جميع المعاني السابقة، لتجتمع كلها في المعنى الرئيس لكلمة دين: منهج كامل تام للحياة كلها، الدنيا والآخرة، **{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا}** (المائدة: 3)[3].

- **تعريف الدين في الإسلام :**

قدم علماء المسلمين تعريفات متعددة للدين، فقد أورد شيخ الإسلام ابن تيمية في فتاويه كلاما مطولا عن حقيقة الدين فقال: وحقيقة الدين: دين رب العالمين، هي ما اتفق عليها الأنبياء والمرسلين، وإن كان لكل منهم شرعة ومنهاج، فالشرعة هي الشريعة قال الله

---

[1] بكر زكي عوض وغيره، (مؤلف جماعي)، **موسوعة المفاهيم الاسلامية العامة**، المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية، مصر، ص 293، أنظر موقع وزارة الأوقاف المصرفية http://www.islaic-council.com/ .

[2] Dictionnaire Le Robert pour tous, paris, 1995, p 970.

[3] عدنان علي رضا النحوي، **مفهوم الدين بين الحقيقة والتحريف**، مجلة البيان، يصدرها المنتدى الاسلامي المملكة العربية السعودية، 1427 هـ/ العدد 228، ص 4.

تعالى: ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ﴾ [المائدة: 48] والمنهاج هو الطريق، والغاية المقصودة هي حقيقة الدين، هي عبادة الله وحده لا شريك له، وهي حقيقة دين الإسلام، وهو أن يستسلم العبد لله رب العالمين لا يستسلم لغيره، فمن استسلم له ولغيره كان مشركا والله لا يغفر أن يشرك به ومن لم يستسلم لله بل استكبر عن عبادته كان ممن قال الله فيهم: **{إِنَّ ٱلَّذِينَ يستكبرون عن عبادتيسيدخلون جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ}** ودين الإسلام هو دين الأولين والآخرين من النبيين والمرسلين وقوله تعالى ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: 85] ، عام في كل زمان ومكان...فدين الأنبياء واحد وإن تنوعت شرائعهم كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال "إنا معشر الأنبياء دينا واحدا"

ويقول الشيخ رشيد رضا: "الدين عرفه علماء المسلمين بأنه وضع إلهي، سائق لذي العقول باختيارهم إلى الصلاح في الحال والفلاح في المآل، وإن شئت قلت: إلى سعادتهم الدنيوية والأخروية، وقواعده عندهم ثلاث: تصحيح العقائد، وتهذيب الأخلاق وإحسان الأعمال، والأعمال قسمان: عبادات ومعاملات، ومن الثاني: الإحكام بأنواعها قضائية ومدنية، وسياسية وحربية."[1]

وجاء في إصدار للموقع الخاص بوزارة الأوقاف السعودية، مفهوم الدين في الاصطلاح الإسلامي: الدين هو الإيمان بذات إلهية جديرة بالطاعة والعبادة من خلال النصوص التي تحدد صفات تلك الذات، وتبين القواعد العملية التي ترسم طريق عبادتها[2].

[1] محمد رشيد رضا، **الدين الدولة أو الخلافة والسلطنة**، مجلة المنار، 12 ربيع الثاني 1317 هـ 19 أغسطس 1899م

[2] **الدين في الاصطلاح الإسلامي**، وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات، ص 1 موقع وزارة الأوقاف السعودية http://www.moia.gov.sa/ .

وعرفهد.محمد دراز بأنه "وضع إلهي يرشد إلى الحق في الاعتقادات، وإلى الخير في السلوك والمعاملات"[1] وتبني د.عبد الله الخريجي التعريف الذي ساقه د.دراز وأضاف و"بناء على قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [آل عمران: 19] واقصد بالإسلام كل ما أوحى به الله من عهد نوح إلى عهد محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى ذلك يكون الإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والإخلاص من الشرك، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56] .

وجاء في مجلة البحوث الإسلامية السعودية تعريفا للدين بأنه: "وضع إلهي سائق لذوي العقول –باختيارهم إياه– إلى الصلاح في الحال والفلاح في المآل، وهذا يشمل العقائد والأعمال" ومعنى هذا أن لفظ الدين عند هؤلاء لا يتناول إلا الأديان التي اصطلح عليها بعض الناس دون أن يكون لها صلة بالسماء، فليست دينا في نظرهم.

ويرى فريق آخر من العلماء: أن الدين هو "عبارة عن الإيمان والعبادة مهما كانا فإيمان الوثنيين دين، أو هو عبارة عن الإيمان بقوة أو قوات سائدة تحكم الأرض، وعن عبادة تلك القوة أو القوات، فيقال دين حق، ودين باطل"، ومعنى هذا أن الدين عند هؤلاء يشمل الأديان السماوية وغيرها من الأديان التي هي من صنع البشر، ولا تمت إلى الله بسبب، وقد يشهد لهذا أن الله سمى الديانات غير الحقة دينا فقال: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٨٥﴾ [آل عمران: 85] وقال فيما أمر به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أن يقوله لكفار قريش: ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ

[1] محمد عبد الله دراز، **الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان**، دار القلم للنشر والتوزيع، ط 3، القاهرة، 2010، ص 63.

﴾ [الكافرون: 6] والواقع أنه لا خلاف بين الفريقين: فالفريق الأول نظر نظرة خاصة، والفريق الثاني نظر نظرة عامة[1].

- **تعريف الدين في علم الاجتماع :**

لا يوجد تعريف لمفهوم الدين متفق عليه بين علماء الاجتماع، وعندما حاول الباحثون منذ القرن 18 م تعريفه وتحديد ماهيته واجهوا صعوبة كبيرة، ويرجع ذلك إلى أن مفهوم الدين لا يقتصر على دين بذاته، وإنما يتسع لجميع الديانات القديمة والحديثة البدائية والمتحضرة، السماوية وغير السماوية، الحية منها والمندثرة، وهي ديانات كثيرة ترتكز على مجموعة من العقائد والشعائر المتباينة، والتي لا تكاد تجمعها وحدة عامة[2] ويؤكد جيدنز ان "المعتقدات الدينية هي من التنوع والتعدد والتباين بحيث لا يستطيع الباحثون والدارسون إعطاء تعريف واسع جامع مانع للدين...فهي تتضمن منظومة من الخصائص التي تشترك فيها جميع الديانات، فهي تتضمن مجموعة من الرموز التي تستدعي الاحترام وتوحي بالرهبة، كما أنها ترتبط بمجموعة من الطقوس والشعائر أو الممارسات الاحتفالية التي يؤديها من يعتنقون هذا المذهب الديني أو ذلك"[3].

ويعرف إحسان محمد الحسن الدين بأنه "نظام عقلاني منطقي موزون يتكون من مجموعة المعتقدات والمبادئ والقيم والطقوس السلوكية الخاصة بعبادة الله سبحانه وتعالى والخضوع لمشيئته وأوامره السماوية وتعاليمه الربانية والالتزام برسالته الإلهية التي ينزلها على الناس عبر الرسل والأنبياء الصالحين الذي هم بمثابة حلقة وصل بين الله والناس المطلوب هدايتهم وتقويم سلوكهم، غير أن الأديان سواء كانت سماوية كالإسلام

[1] محمد حسين الذهبي، **الدين والتدين**، مجلة البحوث الاسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، العدد 1، 1395 هـ ن ص 49.

[2] سلوى علي سليم، **الاسلام والضبط الاجتماعي**، دار التوفيق النموذجية، ط 1، القاهرة، أكتوبر 1985، ص 114.

[3] انتوني جيدنز، **علم الاجتماع**، تر: فائز الصياغ، المنظمة العربية للترجمة، ط 4، 2005، ص ص 569-570.

والمسيحية واليهودية،أوفلسفية كالبوذية والهندوسية والكونفوشية، أوالبدائيةتختلف عن بعضها البعض بمفاهيمها وأفكارها ومعتقداتها وممارساتها وتنظيماتها، غير أن الشعور الديني الذي ينتاب المؤمن إنما هو شعور واحد مهما يكن نمط الدين الذي يؤمن به"[1].

ويعرفه محمد عاطف غيث بقوله: "الأديان هي أنساق للمعتقدات والممارسات والتنظيمات، تشكل الجانب الأخلاقي للسلوك، المعتقدات الدينية هي تفسيرات أو تأويلات للخبرة المباشرة بالرجوع إلى البناء المطلق للعالم، وإلى القوة فوق الطبيعية التي تسيطر على الكون وظواهره، والسلوك الديني سلوك مقدس وطقوس تفرض على الشخص ممارسات مقننة تحدد علاقة الشخص بالقوة العليا، والتنظيم الديني يشير إلى عضوية الأفراد المؤمنين في مجتمع معين، ويفرض عليهم مهام دينية خاصة"[2].

وعرفه نخبة من علماء الاجتماع المصريين بأنه "نسق المعتقدات والممارسات والقيم الفلسفية المتصلة بتحديد ما هو مقدس، وبفهم الحياة والتخلص من مشكلات الوجود الإنساني"[3].

وعرفه زيدان عبد الباقي بأنه "الالتزام بعقيدة دينية –أو نحلة– معينة، وأداء فرائضها ومناسكها وطقوسها وشعائرها، وكل ما يتصل بها من العبادات نحو المعبود المعترف به من هذا الدين أو النحلة، وما يترتب على هذا الالتزام الديني من تطبيقات تتصل بالشروط الدينية لكافة العلاقات والمعاملات في المجتمع"[4].

---

[1] إحسان محمد الحسن، **مبادئ علم الاجتماع**، دار وائل للنشر والتوزيع، ط 1، الأردن، 2005، ص 279.

[2] محمد عاطف غيث، **قاموس علم الاجتماع**، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2002، ص 382.

[3] مؤلف جماعي (نخبة من أساتذة قسم الاجتماع) **المرجع في العلوم الاجتماعية لطلاب قسم الاجتماع**، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، بدون سنة، ص 382.

[4] زيدان عبد الباقي، **علم الاجتماع الديني**، دار غريب، القاهرة، بدون سنة، ص 54.

ويعرفه أحمد بدوي الدين بأنه "مجموعة معتقدات تؤمن بها جماعة ما وتكون نظاما متصلا وتتعلق في الغالب بعالم ما بعد الطبيعة، وممارسة شعائر وطقوس مقدسة والاعتقاد في قوة روحية عليا، وقد تكون هذه القوة متكثرة أو أحادية"[1].

ونستشف من التعريفات السابقة أنه لا يوجد إجماع حول تعريف محدد لمفهوم الدين، ففي سنة 1912 أورد "لوبا" Leuba 49 تعريفا، ومع هذا لا يوجد بينها تعريف متفق عليه أو حقق حدا أدنى من الاتفاق بين الباحثين، وقد عقدت عدة مؤتمرات وندوات علمية لتحديد معنى الدين، فشلت جميعها في التوصل إلى تعريف يتفق حوله علماء الاجتماع[2].

**المبحث الثاني: الفرق بين الدين والتدينReligiosité**

يستفاد من التعريفات السابقة أن الدين هو مجموع النصوص المقدسة (القرآن والسنة) التي تحدد علاقة الإنسان مع الله وعلاقته مع البشر والمجتمع ككل، ومن ثم يشمل دين الإسلام على الجوانب التالية: العقائد والعبادات والأخلاق والمعاملات.

أما التدين فهو عبارة عن مجموع **التفسيرات والتأويلات للنصوص الدينية،** وأيضا **مدى التزام المؤمن بتعاليمها وممارسته لها في حياته اليومية،** لأنه شتان بين النص والتطبيق، حيث غالبا ما يتراوح بين الغلو والتشدد وبين التساهل والإفراط فهذا التفاوت بين الأفراد يسمى تدينا.

فالدين واحد وهو الإسلام، أما التدين يختلف ويتباين بحسب الطبقات والفئات على اختلاف مستوياتهم الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية والمهنية والعمرية...الخ وعلى هذا

[1] أحمد زكي بدوي، **معجم المصطلحات العلوم الاجتماعية**، مكتبة لبنان، بيروت، 1986، ص 353.

[2] نبيل توفيق السمالوطي، **الدين والبناء الاجتماعي**، الجزء 2، دار الشروق، ط 1، 1981، المملكة العربية السعودية، ص 15.

الأساس يمكن اعتبار "التدين" ظاهرة اجتماعية قابلة للدراسة الموضوعية والقياس ونكون عندئذ بصدد عدة مستويات من التدين، تلعب مؤسسات التنشئة الاجتماعية دورا فعالا في تشكيله وتحديد أنماطه، إذن يوجد فرق واضح بين الدين والتدين، وهذا عام في جميع الأديان.

وينسجم هذا التعريف مع التعريف الذي أوردته مجلة البحوث الإسلامية "أما التدين فهو التمسك بعقيدة معينة، يلتزمها الإنسان في سلوكه، فلا يؤمن إلا بها، ولا يخضع إلا لها، ولا يأخذ إلا بتعاليمها، ولا يحيد عن سننها وهديها ويتفاوت الناس في ذلك قوة وضعفا، حتى إذا ما بلغ الضعف غايته، عد ذلك خروجا عن الدين وتمردا عليه"[1].

وتجدر الإشارة إلى النبي صلى الله عليه وسلم قد أعطى –وهو القدوة والأسوة– أروع الأمثلة في تجسيد النص الديني على أرض الواقع، وذلك عندما سئلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن خلقه، فقالت: "كان خلقه القرآن"[2] أي أن سلوكه كان التطبيق العملي لتعاليم القرآن.

وأخيرا أن الدين هو مجموعة الأفكار والقيم والمعتقدات المستنبطة من القرآن والسنة والتي يؤمن بها أصحابها، أما التدين فهو مجموعة الطقوس والممارسات والعبادات والشعائر والمظاهر المتعلقة بالدين والتي يتمسك بها المتدينون[3].

[1] مجلة البحوث الاسلامية، **الدين والتدين**، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، العدد 1، رجب–رمضان، 1395 هـ، المملكة العربية السعودية، ص 51.

[2] رواه مسلم وغيره.

[3] سراج جيلالي، **زيارة الأضرحة وأثرا في المعتقدات الشعبية**، مذكرة ماجستير في الأنثروبولوجيا الثقافية، جامعة تلمسان، الجزائر، 2014–2015، ص 35.

## المبحث الثالث: الواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي لتلمسان في هذه الفترة(ق7هـ-ق9هـ/13م-15م):

لقد اعتبرت الدولة الزيانية واحدة من أهم القوى السياسية التي قامت في بلاد المغرب الأوسط خلال الفترة الممتدة ما بين (633-962 هـ/1235-1554 م) وقد تميزت الأوضاع العامة للدولة طوال هذه الفترة بعدم الاستقرار، بحيث كانت تشهد أوقات قوة وازدهار وتطور، وفي المقابل كانت هناك أوقات عرفت فيها ضعفا وتراجعا وتدهورا.

وكان هذا راجع لعدة عوامل وظروف فمن الناحية السياسية تميزت الأوضاع بالاضطراب، بسبب تطور أحداث المواجهات الحربية التي كانت بينها وبين جيرانها الحفصيين في الشرق والمرينيين في الغرب[1].

مما أدى إلى عجز الدولة عنالدفاع عن حدودها، وهذا ما دفع بالطامعين بها لحصارها مرات عديدة لغرض اقتحامها مثلما حدث في سنوات (698-706هـ/1299-1307م) التي كان فيها الحصار المريني الطويل والذي استمر ثمانية سنين وثلاثة أشهر من يوم نزولهم فيها، أين نال الزيانيون فيها من الجهد ما لم تناله أمة من الأمم[2].

هذا إلى جانب الصراعات الداخلية بين سلاطين الدولة الذين كانوا يتصارعون فيما بينهم على السلطة ويكيدون لبعضهم البعض[3] فمثال ذلك الحرب التي كانت بين أبو حمو موسى الثاني (760-791 هـ/1359-1389 م) وابن عمه أبي زيان بن سعيد (796-801 هـ/1394-1399 م) في الفترة الممتدة ما بين سنتي (762-783 هـ/1361-

---

[1] للمزيد من التفاصيل حول هذه الحروب ينظر: عبد العزيز الفيلالي، المرجع السابق، ج 1، ص 21.

[2] ابن خلدون: **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، تح: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2000، ج 7، ص 128.

[3] عمار بوحوش، **التاريخ السياسي للجزائر عبن البداية ولغاية 1962**، ط 2، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1997، ص 49.

1382 م) والتي أدت إلى انقسام الدولة الزيانية إلى شطرين، الشطر الشرقي ويضم أراضي من شرق الجزائر الحالية إلى غاية مدينة الجزائر تقريبا وكانت تحت سلطة أبي زيان، أما الشطر الغربي فمن مدينة الجزائر إلى غاية الحدود الغربية الحالية للجزائر والتي كانت تحت سلطة أبو حمو موسى الثاني، وهذا ما سهل الأمر على السلطان المريني عبد العزيز (767-773 هـ/1366-1372 م) من احتلال تلمسان سنة (772 هـ/1371 م)[1].

إلى جانب هذه الصراعات كانت هناك صراعات أخرى تمثلت في الصراع بين زعماء القبائل من أجل السلطة، خاصة في ضل التهميش السياسي الذي طال بهم رغم الدور الكبير الذي لعبه هؤلاء في بناء الدولة الزيانية[2].

ولقد ساهمت جل هذه الظروف إلى حد بعيد في ضعف العاصمة تلمسان حيث أشاعت هذه الحروب حالة من اللااستقراروواللاأمن التي هيأت ظروف التدهور الاجتماعي والاقتصادي أمام استفحال ظاهرتي الأوبئة والمجاعات التي شكلت خطرا حقيقيا على حياة سكان تلمسان[3] وقد كان لكل من الطبيعة والإنسان دورا حاسما في حدوثها كالحروب والفتن وكذا من خلال الكوارث الطبيعية كالجفاف والأعاصير والفيضانات وغيرها.

وإن كان بإمكان المجتمع التلمساني الاحتياط من الكوارث الطبيعية بفعل تعوده عليها عبر وسائل متعددة فإنه ظل عاجزا عن مواجهة الاضطرابات التي تخلفها الحروب مما كن يحطم كل شروط الاستقرار ويهيئ بالتالي الأرضية لظهور الأوبئة والمجاعات

---

[1] الزركشي، **تاريخ الدولتين الموحديةوالحفصية**، تح: محمد ماضور، ط 2، المكتبة العتيقة، تونس، 1966، ص ص 103-104.

[2] خالد العربي، **حركة التصوف بتلمسان العهد الزياني (1235-1554)**، مجلة كتابات معاصرة، ع 26، نوفمبر 2007، لبنان، ص 133.

[3] خالد العربي، **ورقات زيانية، دراسات وأبحاث في تاريخ المغرب الأوسط في العهد الزياني**، دار هومة، الجزائر، 2014، ص 93.

وكانت هذه الأخيرة قد مست تلمسان في عهد كل من السلطان أبو حمو موسى الأول (707-718 هـ/1308-1318 م) إثر حصار المدينة من قبل السلطان المريني أبي سعيد عثمان بن يعقوب (710-731 هـ/1310-1331 م)[1] وفي عهد السلطان أبو حمو موسى الثاني (760-791 هـ/1359-1389 م) حدثت مجاعة (776 هـ/1374 م) والتي وصفت بالمجاعة الكبرى أو العظيمة، فهي لم تقتصر على المدينة فقط بل انتشرت إلى كامل بلاد المغرب، والتي وصفها ابن القنفذ بقوله: "وفي سنة 776 هـ كانت المجاعة العظيمة بالغرب وعم الخراب به"[2] بالإضافة إلى أن هذه الفترة كان قد ظهر فيها الطاعون الأسود ما بين سنتي (750-751 هـ/1349-1350 م) والذي كان من أشد الطواعين فتكا فلم يسلم منه أي كائن حي بحيث قضى على خلق كثير من الناس.

والأمر نفسه حدث في عهد السلطان أبو عباس أحمد العاقل بن أبي حمو موسى الثاني (843-866 هـ/1441-1462 م) الذي ورغم الاستقرار السياسي الذي عرفه عصره إلا أن الطاعون عاد للظهور سنة (845 هـ/1442 م) أي ألحق الكثير من الضرر بسكان المدينة[3] وعمق أثر هذه الكوارث الطبيعية لم يقتصر على الضعفاء فحسب بل تعدى إلى الفئة الميسورة التي لم تكن بعيدة عن ضربات الكوارث فلقد جاء على العامة والأسياد والشيوخ وأصحاب القصور والجاه بدون تمييز وهو ما أكده ابن خلدون بقوله: "**ولم أزل منذ نشأت وناهزت مكبا في تحصيل العلم حريصا في اقتناء الفضائل...إلى أن كان الطاعون الجارف وذهب الأعيان الصدور وجميع المشيخة**"[4].

---

[1] خالد بالعربي، **حركة التصوف بتلمسان**، المرجع السابق، ص 133.

[2] ابن القنفذالقسنطيني،**أنس الفقير وعز الحقير**، نشره وصححه محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1965 م، ص 105.

[3] خالد بلعربي، **ورقات زيانية**، المرجع السابق، ص ص 88-97.

[4] ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج 7، ص 398.

ورغم كل الجهود التي بذلها السلاطين في التقليل من النتائج السلبية لهذه الكوارث إلا أنهم لم يستطيعوا الحد من آثارها الوخيمة التي مست جميع مستويات الحياة، فعلى المستوى الاجتماعي كانت قد خلفت العديد من الضحايا، ورغم عدم وجود إحصائيات دقيقة تحدد لنا هذه الخسائر إلا أننا نجد بعض المصادر قد عبرت عنها بأوصاف أدبية ومن ضمنها هذه العبارات: "وكم هلكت فيها من أمم"[1] "مات منهم خلق كثير"[2] أو "كان الهالك بالجوع أكثر من الهالك بالقتل"[3] وكذلك عبارة "حصد السكان بدون استثناء"[4]وغير ذلك من عبارات، ورغم طابعها الأدبي فإنها تؤكد حقيقة أن الكوارث كانت شديدة وأنها أودت بحياة عدد كبير من الناس.

هذه الكوارث ساهمت في بروز بعض القيم الأخلاقية المتطرفة والتي أخذت أبعادا حقيقية في ضل الفوضى وضعف السلطة المركزية، ومن هذه الآفات الاجتماعية استفحال ظاهرتي النهب والسلب وانتشار اللصوصية وقطاع الطرق، وهي ممارسات عدوانية ظهرت في مراحل حرجة استهدفت فيها مصادر التعايش داخل المجتمع[5] كلجوء بعض العصاة من القبائل المناوئة للحكم الزياني إلى التجبر والتعسف والتعدي على الأهالي، فكانوا يتصدون بالعدوان للقوافل الآتية من بلاد السودان جنوبا والذاهبة

---

[1] ابن مرزوق: **المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**، تح: ماريا خيسوس فيغيرا، تق: محمود بوعياد، الشركة الوطنية، الجزائر، 1981، ص 203.

[2] التنسي، **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدر والعقيان في شرف بني زيان**، تح: محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 132.

[3] ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج 7، ص ص 197-198.

[4] ابن مريم، **البستان في ذكر الاولياء بتلمسان**، تح: محمد بن أبي شنب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986، ص 180.

[5] عبد الهادي البياض، **الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الإنسان في المغرب والأندلس (ق 6-8 هـ/12-14 م)** ط 1، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 2008، ص 43. خالد بالعربي: **المجاعات والأوبئة بتلمسان في العهد الزياني (698-845 هـ/1299-1442 م)** دورية كان تاريخية، ع 4، يونيو 2009، ص 24.

إليها[1] وهذا ما يظهر في وصف العبدري للمرحلة المؤدية إلى تلمسان انطلاقا من أراضي المغرب الأقصى حيث قال: "ولما انتهينا إلى المفازة التي في طريق تلمسان وجدنا منقطعا لا تسلكه الجموع الوافدة إلا على حذر واستعداد، وتلك المفازة مع قربها من أضر بقاع الأرض على المسافر لأن المجاورين لها من أوضع خلق الله وأشدهم إذابة لا يسلم منهم صالح ولا طالح، ولا يمكن أن يجوز عليهم إلا مستعد يتفادون من شره، وطلائعهم أبدا على مقرب لا يخلو منها البتة"[2].

كما أن ابن القنفذ وبسبب مجاعة (776 هـ/ 1374 م) اضطر أن يقيم بتلمسان مدة شهر لانعدام الأمن في المسالك والطرق وقد أشار إلى هذا بقوله: "إن أمر الطريق كان في الخوف الجوع ما مقتضاه أن كل من يقع قدومنا عليه يتعجب من وصولنا سالمين ثم يتأسف علينا عند ارتحالنا"[3].

إن ارتفاع عدد الضحايا وتفشي الآفات الاجتماعية كان له انعكاسات سلبية أدت إلى تدهور الأوضاع الاقتصادية، وبما ان المجتمع الزياني كان يعتمد على الإنسان كأساس للعملية الإنتاجية فموت الآلاف من الأشخاص أدى ذلك إلى انهيار المدينة[4] وخاصة المجال الفلاحي بها وبذلك تعطل الإنتاج الزراعي، هذا بالإضافة إلى الآثار التي خلفتها الحروب كردم الآبار وعيون المياه ونسف الزرع وحرقه، وهو الأمر الذي حصل إثر حملة السلطان المريني أبي يعقوب سنة (670 هـ/1272 م) وحصاره لمدينة تلمسان أين استغلت قبائل توجين التي كانت مناوئة للسلطة المركزية العمل بتخريب والنهب

[1] أبي العباس أحمد بن محمد بن زكري المانوي التلمساني ت899هـ، **محصل المقاصد مما به تعتبر العقائد**، تح: عبد الرزاق دحمون، مركز الإمام الثعالبي للدراسات ونشر التراث، الجزائر، 2001، ص 45.

[2] العبدري، **الرحلة المغربية**، تق، سعيد بوفلاقة، ط 1، مؤسسة بونة للبحوث والدراسات، الجزائر، 2007، ص 25.

[3] ابن القنفذ، المصدر السابق، ص 231.

[4] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ص 387.

بجهات تلمسان[1] فقطعوا الثمار ونسفوا الآبار وخربوا الربوع وأفسدوا الزرع ولم يدعوا بتلك الجهات قوت يوم[2] إضافة غلى الآثار التي تنتج عن الحصار المستمر للمدينة كانقطاع البضائع والسلع الواردة إليها وارتفاع الأسعار وغلاء سائر المرافق والتي كانت تتجاوز حد المألوف[3] ونلاحظ ذلك من خلال حديث التنسي عن الأسعار والذي قال عنها: "بلغ فيها الرطل من الملح دينارين وكذلك من الزيت والسمن والعسل واللحم، وذكر بعضهم أن الدجاج بلغ ثمانية دنانير ذهبا"[4] ومن القرائن الدالة على ذلك إقبال الناس على شراء لحم الجيفة من البغال والحمير وغيرهما[5] وعند حدوث المجاعة الكبرى نال أهل تلمسان كرب عظيم حتى اضطروا إلى أكل الجيف والقطط والفئران، حتى قيل أنهم أكلوا أشلاء الموتى من الناس[6] نظرا إلى انتشار الجوع واستهلاك الناس جل أموالهم وموجوداتهم، فحل الفقر واليتم داخل المدينة والذي كان كفيل بفقدان الأمن وانتشار اللصوص وقطاع الطرق الذين كانوا يتمركزون في أبواب المدن والأسواق ومحاور القوافل التجارية منتحلين أحيانا صفة رجال المخزن.

لتفقد بذلك التجارة التي كانت تمثل إحدى دعائم الاقتصاد بالمدينة أهميتها نتيجة تقلص حجم تجارة العبور التي تأثرت بقطاع الطرق واللصوص[7] الذين وصل بهم الحد في

---

[1] ابن مرزوق، **المناقب المرزوقية**، تح: سلوى الزاهري، ط 1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2008، ص 45.

[2] ابن أبي زرع الفاسي ، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار وملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، تح: عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1973، ص 153.

[3] ابن الأحمر، **تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان**، تح: هاني سلامة، ط 1، مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع، بور سعيد، مصر، 2001، ص 96.

[4] التنسي، المصدر السابق، ص 132.

[5] ابن مرزوق، **المناقب المرزوقية**، المصدر السابق، ص 46.

[6] ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج 7، ص 128.

[7] نفسه، ج 2، ص ص 84-85.

كثير من الأحيان إلى تغريم الناس بغير وجه وأكل أموالهم بالباطل، وبذلك تكون قد تفشت ظاهرة النهب بالمدينة ولحق الكثير من أهلها مضرة في أموالهم وحرمهم[1].

وعلى الرغم من كل هذا إلا انه ومع بداية القرن (9 هـ/15 م) ازدهر النشاط الاقتصادي بتلمسان بفعل الهجرة الأندلسية، ونتيجة للجهود التي بذلها سلاطين بني زيان لإقرار الأمن داخل ربوع الدولة بتطبيق الأحكام الصادرة عن القاضي وصاحب المظالم وذلك بتصفية عناصر الفساد والجريمة واللصوصية، إلى جانب وضع مراقبين للأسواق والذي تمثل في المحتسب للحد من الغش ومراقبة أسعار السوق، بالإضافة إلى تأمين السبل للمحافظة على امن المسافرين وأمتعتهم والتدخل لردع اللصوص والقطاع، وإقامة مراكز الاستقبال والتموين[2] وهذا ما أدى إلى تنشيط التجارة الداخلية والخارجية وإقامة علاقات تجارية مع أوروبا عن طريق الموانئ التي عرفت بها وبناء أسواق جديدة[3].

وفي الأخير يمكننا القول أن الأوضاع العامة لمدينة تلمسان خلال العهد الزياني كانت تتميز في الغالب بالاضطراب وعلى جميع المستويات وذلك بسبب ما عانته المدينة من أهوال الغزو الخارجي وزعزعة الأمن لفترات تطول غالبا أكثر من فترات السلم بالنظر لكثرة الفتن والصراعات، وما تبع ذلك من كوارث طبيعية وأعمال تخريبية واعتداءات على الأرواح، حيث كانت هذه المدينة من أكثر مدن المغرب الأوسط المعرضة باستمرار لهذه النكبات مما استنزف من طاقتها المالية والمعنوية هذا ما جعلها لا تتمكن من التركيز على قضايا التنمية، غير أن هذا لم يمنع السلاطين الزيانيين من الاهتمام بمهمة حفظ الأمن داخل مدن الدولة وتوفير كل من وسائل الراحة والاطمئنان لسكان المدينة، رغم ما

---

[1] نفسه ج 6، المصدر السابق، ص 536.

[2] خالد بالعربي، ورقات زيانية، المرجع السابق، ص ص 51-52.

[3] نميش سميرة، **دور أهل الذمة بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني من القرنيين (7 -10 هـ/13/16 م)** مذكرة ماجستير، جامعة بلقايد أبو بكر، تلمسان، 2013-2014، ص 55.

كانت تتعرض له من محاولات لزعزعة الأمن بداخلها، وبفضل هذه السياسة الأمنية التي طبقها حكام بنو زيان ظلت هذه المدينة في نمو وازدهار مستمر وبذلك حافظت على تثبيت دعائم حكمها لمدة ثلاثة قرون.

# الفصل الثاني: التدين الشعبي في تلمسان الزيانية

## المبحث الأول: التصوف الشعبي في العهد الزياني

### 1.التصوف السني

يتميز التدين السنّي ببساطته والتزامه بالقرآن والسنة وأخلاق السلف الصالح وبعده عن الخوض في القضايا الفلسفية فهو يقوم على التخلق ومحاسبة النفس والتعبد والالتزام بحدود ظاهر الشيء[1] ويمكن تصنيفه إلى ثلاثة اتجاهات:

* أولها اتجاه صوفي نهج أصحابه الزهد والورع الشديد في الدنيا والإقبال على العبادة، ومن بعض الأعلام الذين يمثلونه نذكر: أبي بكر مرزوق التلمساني (681 هـ/ 1283 م) الذي انكب على كتب التصوف وانقطع انقطاعا تاما للعبادة[2]، وأبو محمد المجاصي المعروف بالبكاء (ت 741 هـ/1341 م) وقد عرف بهذا الاسم لكثرة بكائه ورعا وتقوى وكف بصره من كثرة خشوعه وخشية من الله تعالى حتى أنه كان لا يرفع طرفه إلى السماء بسبب ذلك[3]، وكذلك مجد أبو إسحاق الطيار (توفي قبل 700 هـ/ 1300 م) والذي كان مثقلا من الدنيا ويقال أنه لم يضطجع أربعا وعشرين سنة، ويصوم ويقوم فيها[4]، والحسن أبركان ( ت 857 هـ/ 1453 م) الذي كان يتغذى على ما يجمعه من الطعام المتساقط في المدينة[5]، وغيرهم من المتصوفة الذين ساروا على هذا النهج.

---

[1] خالد بلعربي: **حركة التصوف بتلمسان العهد الزياني (1235-1554)**، مجلة كتابات معاصرة، ع 26، نوفمبر 2007، لبنان، ص 127.

[2] يحي ابن خلدون: المصدر السابق، ص 152. ابن مريم: المصدر السابق، (ت ح: عبد القادر بوباية)، ط 1، مكتبة الرشاد للنشر والتوزيع، سيدي بلعباس، الجزائر، 2011، ص 360.

[3] المصدر نفسه، ص 220..

[4] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ص 141.

[5] وهو الحسن بن مخلوف المزيلي الراشدي أبو علي، المعروف بأبركان الشيخ الفقيه الإمام العالم والولي الصالح، أخذ التصوف عن الإمام إبراهيم المصمودي والحافظ التنسي وأخوه لامه الإمام التونسي، التنبكتي: المصدر السابق، ص 161.

* أما الاتجاه الثاني فيمثله مجموعة الزهاد، الذين تبنوا مبدأ اقتفاء أثر السلف الصالح والاعتماد على أنفسهم في قضاء أمورهم ورفض قبول خدمات الغير ومن بين الذين يمثلون هذا الاتجاه نجد: ابن الحاج المناوي البيدري (930 هـ/1523 م)[1]والذي كان يخدم نفسه بنفسه، وعبد الله بن أبي بكر مرزوق ( ت 747 هـ/1346 م) الذي كان يتولى ربط دابته وقضاء ما يحتاج إليه من أمور العبادة بنفسه ويشارك خادمه طعامه[2].

* في حين يمثل الاتجاه الثالث بعض المتصوفة الذين رفعوا مبدأ المجاهدة النفسية وتبنوها بدلا عن المجاهدة العلمية عن طريق الخروج بعيدا عن زواياهم والانقطاع للعبادة والتدبر والاعتبار مثلما فعل أحمد بن الحسن الغماري (874 هـ/1469 م) والذي كان منقطعا لعبادة الله تعالى وتلاوة آياته طوال الليل والنهار وكان يحرص على أداء صلاة الجمعة جماعة، وفي كل مرة بمسجد، فإما بالحنايا أو ندرومة أو بهنين[3]، وهذا أيضا ما كان يميز سلوك السنوسي (896 هـ/1491 م) الذي كان كثير الخروج إلى مواقع منعزلة للاعتبار[4]، ونفس الأمر نجده عند إبراهيم بن موسى المصمودي (805 هـ/1403 م) والذي انتهج طريق المجاهدة وأخذ بالغاية القصوى في الورع والزهد والإيثار.

### 2.التصوف الفلسفي

نشأ هذا الاتجاه نتيجة لاهتمام الصوفية بعلوم المكاشفة التماسا منه لمعرفة الله واكتساب علومه، والوقوف على حكمته وأسراره والاطلاع على حقائق الموجودات ويقوم

---

[1] وهو أحمد بن محمد بن محمد بن عثمان بن يعقوب بن سعيد بن عبد الله المناوي وعرف بان الحاج، كان زاهدا في الدنيا ماهرا في الحساب والشعر، تخرج على يده جماعة كبيرة من العلماء له كرامات لا تحصى، توفي قريبا من 930 هـ ودفن في روضة في بني اسماعيل من جبل بيدر. ابن مريم: المصدر السابق، (تح: عبد القادر بوباية)، ص ص 61-83.

[2] خالد بلعربي: **ورقات زيانية**، دراسات وأبحاث في تاريخ المغرب الأوسط في العهد الزياني، دار هومة، الجزائر، 2014، ص 93.

[3] ابن مريم: المصدر السابق، (تح: عبد القادر بوباية)، ص 90.

[4]المصدر نفسه، ص 374. التنبكتي: المصدر السابق، ص 572.

أصحاب هذا التيار بمجاهدة النفس بالصيام والقيام والتهجد، والذكر والخلوة والعمل على كشف حجاب الحس لمعرفة الله واكتساب علومه والوقوف على حكمته وأسراره[1]، غير أن البيئة التلمسانية في العهد الزياني لم تمنح مجال لبروز هذا التيار وانتشاره نظرا لسيادة المذهب المالكي بها، الذي عارض وبشدة هذا الاتجاه وأصحابه مما نتج عنه صراع بين أصحاب هذا التيار وفقهاء المالكية (والذي عرف بصراع السلفية والصوفية ودام أكثر من قرنين) فلا نكاد نعثر على المتصوفة من تلمسان سلكوا هذا الاتجاه خلال هذا العهد إلا نادرا، وما هو موجود منهم يعود إلى أصول أندلسية، كأبي عبد الله الشوذي الإشبيلي المعروف بالحلوي (737 هـ/1337 م)[2] والذي تنسب إليه الطريقة الشوذية ذات الاتجاه الفلسفي، وأبي الحسن علي النميري الششتري (668 هـ/1270 م)[3].

أما المتصوفة ذو الاتجاه الفلسفي والذين ينتمون بالأصل إلى تلمسان فمنهم عفيف الدين الكومي التلمساني (690 هـ/ 1291 م)[4] والذي لم تعرف أفكاره الانتشار لعدم استقراره في تلمسان، كما نجد أيضا الشاعر التلمساني محمد ابن خميس (708 هـ/1308 م) والذي اشتهر بأشعاره وقصائده التي غلب عليها الطابع الصوفي ويتخلله

[1] الطاهر بواني: التصوف في الجزائر، المرجع السابق، ص ص 141-143.

[2] أبو عبد الله الحلوي: هو أبو عبد الله الشوذي الإشبيلي المعروف بالحلوي، إمام العارفين وتاج الأولياء المحققين وسيد الصالحين نزيل تلمسان وهو من أكابر العباد العارفين بالله كان قاضيا بأشبيليه لكنه فر منها إلى تلمسان، ومات بها سنة (737 هـ/1337 م) وقبره خارج باب علي. ابن مرم: المصدر السابق، ص 146. يحي ابن خلدون:مس، ج 1، ص 165.

[3] أبو الحسن علي ابن عبد الله النميري الششتري (ت688 هـ/ 12898 م) نسبة للقرية التي ولد بها وكان مجودا للقرآن قائما عليه عارف بمعانيه له عدة مؤلفات منه: "الرسالة القدسية في توحيد العامة والخاصة"، "المقاليد الوجودية في أسرار الصوفية"، وديوان الشعر في معظمه صوفي بكثر فيه استعمال اللهجات العامية الأندلسية ودفن بدمياط، المقري: المصدر السابق، ج 2، ص ص 185-187.

[4] أبو ربيع سليمان عفيف بن ياسين العابدي، كومي الأصل (من قبيلة كومة إحدى فروعه زناتة)، أحد كبار الشعراء المتصوفة ولد بالعباد بتلمسان تنقل إلى المشرق العربي وتعرف على كبار المتصوفة، توفي سنة (690 هـ/1291 م) بدمشق، أنظر: يوسف زيدان: ديوان شعر عفيف الدين التلمساني، دار الشرق، مصر، د ت، ج 1، ص 11.

عبارات ودلالات فلسفية وهذا ما جعله محل مضايقة من قبل الفقهاء فالرمزية التي يستعملها في شعره هي التي جلبت له عداوة الفقهاء وكثرة انتقادهم له ولأفكاره حتى أنهم اتهموه في دينه ووصفوه بالزندقة[1].

وفي العموم فقد حرص رجال التصوف في تلمسان على العمل بكتاب الله عز وجل وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، والاعتناء بالجانب التربوي العملي من التصوف والابتعاد عن تيار التصوف الفلسفي، الذي يعتبر تصوف غامض نوعا ما، لذلك يحتاج الدارس لفهم مسائله وأبعاده إلى جهد ذهني غير عادي، لذلك نرى أنه لم يكن له صدى في المجتمع التلمساني عكس التصوف السني والذي كان يطلق عليه تصوف العامة لأنه لاقى ترحيبا من الأوساط الشعبية وحتى من الخاصة فاعتمدوه وآمنوا به.

وبذلك يمكننا القولأن رجال التصوف قد احتلوا مكانة هامة في المجتمع التلمساني، وذلك راجع إلى عدة أسباب نذكر منها:

– جانبهم الإنساني الذي يبرز في سلوكهم ومواقفهم متجليا في قيم الرحمة والإنسانية والإيثار فقد شاركوا الفقراء إحساسهم بمرارة الفقر واسخوا عليهم من ممتلكاتهم فابن مرزوق مثلا كان يتصدق بالمال والقمح على الضعفاء كل جمعة، وإذا نضج محصول فلاحته وزع منه على الفقراء الذين يحضرون إلى الحقل وما تبقى يتصدق به طوال السنة، أما نظيره التنسي فكان يتصدق من أرباح تجارته لكل محتاج[2].

– ثقافتهم الدينية الواسعة فمن خلال الاطلاع على تراجم المتصوفة نجد أن أغلبهم تعاطوا لمختلف العلوم الدينية وكانوا متضلعين في علوم الشريعة حرصين كل الحرص على الالتزام بالفروض الدينية معتادين على مجاهدة النفس والتعبد حتى عرفوا بزهدهم وورعهم

[1] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج 2، ص 401.

[2] خالد العربي: حركة التصوف، المرجع السابق، ص 135.

الشديد ومقاومتهم لشهوات الدنيا حتى فيما يخص ملبسهم ومأكلهم وأماكن إقامتهم التي اتسمت بالبساطة الشديدة[1].

– وضعية اجتماعية بسيطة حيث امتهن المتصوفة مختلف الحرف والمهن دون عقدة أو تكبر معتمدين على أنفسهم في كسب قوتهم اليومي فقد كان معظمهم من الرعاة والحرفيين والفلاحين فضلا على نشاطهم في حقل التربية والتعليم.

وهذه الأسباب وغيرها ساعدت على ظهور فكرة الاعتقاد في الصوفية والتبرك بهم بناءا على انبهار المجتمع بكراماتهم وقدراتهم الخارقة، فقد ساهموا بشكل كبير في تحسين أوضاع المجتمع من خلال نشاطاتهم المختلفة كتفريج الكروب عن البائسين، وجلب الشفاء للمرضى وتخليصهم من قطاع الطرق واللصوصية بهداية الضالين من ذوي السلوك المنحرف.

وعلى المستوى العام فقد أصبح التصوف سلوكا اجتماعيا تؤمن به كل الشرائح على تفاوتها الطبقي، فقد كان أغنياء تلمسان يمتثلون للمبادرات الاجتماعية والاقتصادية التي يتزعمها الصوفية لإنقاذ المعوزين من الجوع ويبادرون بإنفاق الطعام والمال على الصوفية وطلباتهم لضمان استمرار حركة التعليم لأنهم كانوا يعتقدون بحصول بركة منهم[2]وكذلك الشأن بالنسبة للطبقة المتوسطة من التجار والحرفيين إذ كانت تخدم الصوفية وتخصهم بالاحترام والتبجيل، أما الطبقة الدنيا وهي أكبر شرائح المجتمع فكانت ترى اعتقادها في الصوفية والتبرك بهم مخرجا من أزماتها الاجتماعية والاقتصادية.

[1] في ما يخص مأكل وملبس المتصوفة فقد اتسم في جله بالتقشف، حتى أنه يمكن القول أن فيهم من بالغوا في ذلك كثيرا فكانوا لا يأكلون إلا خبزا وشعيرا ومنهم من لا يأكل لعدة أيام متواصلة، ولا يلبسون سوى الصوف. الطاهر بوناني: **التصوف في الجزائر**، المرجع السابق، ص ص 160–169.

[2] المرجع نفسه، ص 127.

ولم تكن فكرة الاعتقاد في الأولياء والتبرك بهم مقتصرة على الأحياء من الصوفية فحسب بل على الأموات أيضا فقد برزت ظاهرة التبرك والتوسل عند قبور وأضرحة الصوفية أملا في تحقيق المآرب مثلما كان يحدث عند قبر أبي مدين الغوث بالعباد (حتى أصبح تقليدا شائعا في المجتمع) حيث يعد أكثر القبور ازدحاما بالزوار يأتوه من أنحاء المغرب الأوسط ومصر والشام والمغرب الأقصى خاصة عند ذهاب وإياب الحجاج بل إن الحجاج التلمسانيين كانوا عند عودتهم من مكة ينزلون أولا عند قبر أبي مدين[1]، وبلغ الاعتقاد في الصوفية لدرجة أنهم كانوا يدفنون عند أبواب المدن لحراستها من الغزاة والأعداء فأبو عبد الله الشوذيالحلوي دفن في شمال المدينة حتى أصبح مدخلها الشمالي يعرف باسمه أي باب الحلوي[2]، مما يوحي بأن الاعتقاد كان يقينا بقدرة الصوفية في الدفاع عن المدينة حتى وهم أموات فبركتهم وكرامتهم كفيلة بتوفير الأمن والسلم للمدينة.

ونتيجة لهذه الأسباب وغيرها فقد عرف التصوف في تلمسان تطورا كبيرا إلى أن بلغ مستويات عليا، ويذهب كثير من الباحثين إلى أن مدينة تلمسان أصبحت من بداية القرن السابع هجري الثالث عشر ميلادي من أكبر مراكز التصوف في العالم الإسلامي، مستقطبة العديد من رجال التصوف وعلمائه، وتخرجت منها جماعات متعاقبة من أئمة متصوفة، وكتب المناقب والتراجم الزيانية تطلعنا على حشد هائل منها لاسيما بغية الرواد ليحي بن خلدون والبستان لابن مريم وغيرهما.

**المبحث الثاني: الاعتقاد في كرامات الأولياء في العهد الزياني**

شكل اعتقاد الناس في كرامات الصوفية والتبرك بهم، منذ العهود المبكرة في التاريخ الإسلامي جزءا لا يتجزأ من الاعتقادات الغيبية الأخرى التي أكدتها الشريعة كالإيمان باليوم الآخر وبالقدر وبالملائكة ونحو ذلك، وهذا الاعتقاد كان يزداد نشاطه

[1] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص ص 126-128.

[2] الطاهر بوناني، المرجع السابق، ص 175.

بشكل كبير خلال فترة الأزمات، فكلما تعم أزمة في المجتمع إلا أصبحت الحاجة ملحة إلى بركة الأولياء وكراماتهم حسب الاعتقاد السائد، فانتعشت بذلك مسألة الولاية الروحية في الأوساط الشعبية كمفهوم ديني يفرض نفسه بقوة بديلا عن السلطة الواقعية التي ظهر قصورها في ضبط الأمن والاستقرار[1].

## 1.تعريف الولاية

### أ-المعنى اللغوي

تحليل كلمة "ولي" إلى معنى القرب والدنو، وهو أول ما يتبادر إلى الذهن من معاني هذه المادة، والتي تتولد عنه دلالتان: دلالة على الصديق، ودلالة على الحاكم والمدبر القائم بالأمر، فالولي بالمعنى الدقيق للكلمة هو القريب، كما أنه كذلك المدير والنصير[2] والأمر ذاته بالنسبة إلى لفظة ولاية التي تعني في الاصطلاح السياسي الإداري وظيفة الولي أي الحاكم[3].

### ب-الولاية في القرآن

ويأتي الولي في القرآن الكريم اسما مشتركا بين الله والإنسان، ففيما يعد الولي أحد أسماء الله الحسنى يطلق كذلك على من يتولاه الله بعناية[4]، لقوله تعلى: {الله ولي الذين

---

[1] محمد العمراني: **كتب المناقب وترسيخ الاعتقاد في كرامات الصوفية**، مجلة الأمل، ع 35، 17 أفريل 2009، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ص ص 53-54.

[2] ابن منظور: المصدر السابق، مج 15، ص 408.

[3] محمد حلمي عبد الوهاب: **ولاة وأولياء السلطة والمتصوفة في إسلام العصر الوسيط**، تق: رضوان السيد، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط 1، بيروت، لبنان، 2009، ص 74.

[4] القشيري: المصدر السابق، ص 566.

آمنوا}[1]، وقوله أيضا: {ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون}[2] وقوله أيضا: {وهو يتولى الصالحين}[3].

**ج – الولاية في الحديث :**

إذا ما رأينا الأحاديث النبوية التي تكرر فيها ورد كلمة ولي ومشتقاتها بصورة واضحة نجد أنها متعددة تشتمل إلى جانب الأحاديث النبوية قدسية، كقوله صلى الله عليه وسلم: "ومن عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب"[4] وقوله أيضا: "إن أغبط أوليائي عندي لمؤمن خفيف الحال ذو حظ من الصلاة أحسن عبادة إلى ربه وأطاعه في السر، وكان غامضا في الناس لا يشار إليه بالأصابع"[5].

من الأحاديث النبوية قوله صلى الله عليه وسلم: "إن لله عبادا ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء على مجالسهم وقربهم من الله...يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور فيجلسهم عليها فيجعل وجوههم نورا...هم أوالاصطلاحي:.

- **المعنى الاصطلاحي :**

الولي هو من يتولى الله بالطاعة فتولاه الله بالكرامة، ومع ذلك فالولي إنسان لا يعيش على هامش الكون بل هو قريب من الله ومن الناس، ومن ثم كان تأكيد المتصوفة الدائم على أن خدمة الخلق جزء لا يتجزأ من عبادة الخالق[6] وقد تحدث الكلاباذي عن

[1] سورة البقرة، الآية 257.

[2] سورة يونس، الآية 62.

[3] سورة الأعراف، الآية 169.

[4] أخرجه البخاري في الرقاق، حديث رقم 38.

[5] أخرجه الترميذي في سننه، كتاب الزهد، حديث رقم 35.

[6] محمد حلمي عبد الوهاب: المرجع السابق، ص 77.

نوعين من الولاية مميزا بينهما حيث يقول: "الولاية ولايتان، ولاية تخرج من العداوة وهي لعامة المؤمنين. وولاية اختصاص واصطفاء واصطناع وهذه توجب معرفتها والتحقق بها ويكون صاحبها محفوظا من النظر إلى حظوظ نفسية.ويكون مسلوبا من الخلق"[1].

**2.تعريف الكرامة**

**أ-المعنى اللغوي:**

لا تفيدنا معاجم اللغة كثيرا في توضيح معنى الكرامة لغويا، حيث نجد ابن منظور يكتفي بالقول إن الكريم اسم من أسمائه تعالى، وأن الكرامة تعني: الطبق الذي يوضع على رأس الحب والقدر.

**ب- المعنى الاصطلاحي:**

لقد كانت الكرامة تعرف في أغلب الأحيان على أنها أمر خارق للعادة، على يد الولي مقرون الطاعة والعرفان بلا دعوى نبوة وتكون للدلالة على صدقه وفضله ولقوة يقين صاحبها أو غيره[2]، وفي هذا السياق يعرف الجرجاني الكرامة على أنها: "ظهور الأمر خارق للعادة من قبل شخص غير مقارن لدعوى النبوة فمالا يكون مقرونا بالإيمان والعمل الصالح يكون استدراجا وما يكون مقرونا بدعوى النبوة يكون معجزة"[3].

أما السراج الطوسي فيقول بأن: "الآيات لله والمعجزات للأنبياء والكرامات للأولياء ولخيار المسلمين"[4]، وهو بذلك يضع ثلاثة مستويات بين الإلهي والنبوي والأوليائي.

---

[1] الكلاباذي: المصدر السابق، ص ص 84-85.

[2] محمد الطاهر علاوي: **العالم الرباني أبو مدين شعب التلمساني**، دار الأمة الجزائر، 2011، ص 40.

[3] الجرجاني: **معجم التعريفات**، تح: محمد الصديق المنشاوي، دار الفضيلة لنشر وتوزيع، القاهرة، د ت، ص 154.

[4] السراج الطوسي: المصدر السابق، ص 390.

ومن هنا نقف عند مفهوم الكرامة الذي يجعلها تتماثل مع المعجزة فكلاهما يدخلان في باب خرقة العادة[1]، ولكن الفرق بينهما أن المعجزة تقترن بالتحدي لإثبات نبوة النبي بينما الكرامة يجريها الله تعالى على الأولياء من عباده تكريما ومكافئة لهم[2]، ولقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ١٩﴾ [الشورى: 19] ، وبالرغم من ذلك فالكرامة وقدرة الولي يبقيان ضمن حدود مضبوطة[3].

وفي هذا السياق يمكن تعريف الكرامة بأنها فعل خارق للعادة يظهر على يد عبد صالح في دينه متمسك بسنة الله في جميع أحواله من غير ذي النبوة[4]، وبذلك تكون الكرامة لمن ظهرت منه الاستقامة، والتي تتجلى بإتباع الكتاب والسنة والعمل بما كان عليه سلف هذه الأمة[5].

والولي مسلوب الإرادة تأتيه الكرامة دون أن يكون عالما بها لأنه مجبر لا مخير فهي تحصل في الحياة الدنيا وتظهر على عبد تخصيصا له وتفضيلا، وقد تحصل باختياره ودعائه أي عند طلبه لها، وقد لا تحصل له وتكون بغير اختياره في بعض

[1] يطلق الخارق على ما يجاوز قدرة الإنسان لا على ما يجاوز نظام الطبيعة كما أن الله يظهرها على يد رسله وأوليائه، حكيم ميلود: **الكرامة الصوفية في منطقة تلمسان: دراسة انثروبولوجية سيمائية من خلال مدونة ابن مريم**، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 1997-1998، ص 46.

[2] الكلاباذي: المصدر السابق، ص 79.

[3] ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ج 1، ص ص 68-69.

[4] الونشريسي: المصدر السابق، ج 2، ص ص 395-344، عبد القادر بوتشيش: **المغرب والأندلس في عصر المرابطين**، ط 1، دار الطبعة، بيروت، لبنان، 1993، ص 141.

[5] أبي فارس عبد العزيز محمد القيرواني، **الفتوى المالكية في الأفعال الصوفية**، ت ح: أبو حمد علي الكندي المرر، مؤسسة بينونة للنشر والتوزيع، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2009، ص 22.

الأوقات[1]، ويؤكد هذا الكلاباذي في قوله: "وكرامة الأولياء بإجابة دعوة وتمام الحل وقوة على فعل وكفاية مؤونة يقول لهم الحق بها"[2].

وقد اشترط ابن القنفذ القسنطيني صحة الولاية كشرط أساسي لصحة الكرامة حيث أنها إذ وقعت للولي فهي دلالة على صدق عبادته وعلو مكانته بشرط إتباعه لحقيقة ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم[3].

وعليه فالكرامة بنية أساسية في الفكر البشري مرتبطة بنمط مجتمعي وبأسلوب معيشي في الوجود، وهي ممارسة لمعتقد ديني وتأكيد لهذا المعتقد، وذلك لما تحمله من رموز ودلالات ومعاني روحية وأخلاقية واجتماعية وسياسية، حيث كانت في واقعها نتاج اجتماعي وإفراز لشروط تاريخية وانعكاسات اجتماعية وتجل لواقع يزخر بالتناقضات.

أما فيما يتعلق بصحتها، فقد ظهرت عدة أراء مختلفة انقسمت إلى اتجاهين بين من أقرها وبين من أنكرها ومن بين هؤلاء المعتزلة[4]، لكن نجد أغلبية العلماء والفقهاء قد أجمعوا بصحتها ووجوبها ونذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: ابن رشد الذي أفتى بصحتها ووجوب التصديق بها بل وصل به الحد إلى مهاجمة المنكرين لها واتهامهم بالجهل والضلالة وهذا يتضح من قوله عن الكرامة: "بأن إنكارها والتكذيب بها بدعة وضلالة بثها في الناس أهل الزيغ والتعطيل الذين لا يقرون بالوحي والتنزيل ويمجدون آيات الأنبياء والمرسلين ولا يعتقدون أن لهم ربا وخالقا يفعل ما يشاء ويقدر على ما أراد من جميع الأشياء، كي يوقعوا في نفوس الجهال والأغبياء، إبطال معجزات الأنبياء من

---

[1] القشيري: المصدر السابق، ص ص 562-563، البادسي: المصدر السابق، ص 41، الطوسي: المصدر السابق، ص ص 390-408.

[2] الكلاباذي: المصدر السابق، ص 81.

[3] ابن القنفذ: المصدر السابق، ص ص 3-4.

[4] إبراهيم القادري: **الإسلام السري في المغرب العربي**، ط 1، سينا للنشر، 1995، ص ص 121-123.

ناحية إبطال كرامات الأولياء"[1]، ونجد أيضا ممن أقر بوجوبها وصحتها وانتقد كل من ينكرها: ابن خلدون[2]والونشريسي[3] وكذا ابن القنفذ الذي قال: "لا ينكر الكرامة إلا معاند محروم سيء الاعتقاد وكثير الانتقاد"[4].

ولا يجوز إنكار الكرامة بدون دليل يقوم على بطلانها وبرهان على استحالتها، وبما أنه كان هناك دليل قائم على جوازها ووجوبها، فوجب الإقرار بها، أي أنه لا يمكن الحكم بعدم جوازها بمجرد الدعوة دون دليل فلو كان ذلك لجاز رد معجزات الأنبياء لتساويهما في وقوع العلم بهما.

وفي العموم يمكن القول بأن جواز ظهور الكرامة على الأولياء واجب اتفق عليه جمهور أهل المعرفة، لكثرة ما تواتر بأجناسها الأخبار والحكايات فصار العلم بكونها وظهورها على الأولياء علما قويا لا شك فيه لأن هذا ما أجمع عليه أهل السنة، وهو ما يجب الأخذ به لقوله صلى الله عليه وسلم: "لن تجتمع أمتي على ضلالة"[5].

لقد كانت الكرامات الصوفية متنوعة ما بين "إحياء الموتى"" وهي الكرامة الكبرى وانفلاق البحر والمشي على الماء والطير في الهواء، وانقلاب أعيان الموجودات كتحول الخمر إلى لبن أو سمن، وانزواء الأرض وطيها وشفاء المرضى والاستشفاء واستجابة

---

[1] ابن رشد: **فتاوى ابن رشد**، نح: المختار بن الطاهر التليلي، ط 1، الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1987، ص ص 579-580. البرزلي: **فتاوى البرزلي، جامع مسائل الأحكام بما نزل من القضايا بالمفتين والحكام**، ت ح: محمد الحبيب الهيلة، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2002، ص 224-225.

[2] ابن خلدون: المصدر السابق، ج 1، ص 63.

[3] الونشريسي: المصدر السابق، ج 2، ص 443.

[4] ابن القنفذ: المصدر السابق، ص 4.

[5] ابن رشد: المصدر السابق، ص 580.

الدعاء والاطلاع على خزائن الأرض وكنوزها[1]، وإن كان معظمها يدخل في باب المعجزات، فقد جاءت الأخبار بها وصحت روايتها[2].

وأما عن ظهور الاعتقاد بالأولياء بمدينة تلمسان فيعود إلى الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب لكنه تجلى وانتشر بانتشار التصوف بالمدينة ولقد كانت مضامين كرامات صوفية تلمسان عاكسة لانشغالات الناس وهمومهم اليومية في ظل واقع يتسم بالاضطراب، لذلك كانت هذه الكرامات تهدف في جلها إلى محاولة تحسين الأوضاع العامة للمجتمع، وبعد الاطلاع على مختلف مضامينها نجد أنها كانت تحوم حول:

**أ/ تقويم السلوك الأخلاقي:**

لقد أولى الأولياء بتلمسان عناية بالغة بمعالجة السلوكيات الأخلاقية المنحرفة فاستعملوا في ذلك عنصرا هاما من عناصر الكرامة الصوفيده.لذي يتمثل في القدرة على التنبؤ بما تبطنه نفس الإنسان، فالولي الصالح كانت له القدرة الخارقة على استكشاف أسرار الناس والوقوف على فضائحهم الأخلاقية، وبذلك كان لهم دور في مكافحة رذيلة الدعارة والزنا وشرب الخمر والسرقة وغيرها، ومن أمثلة ذلك:

رواية كرامية مختصرها أن رجلا سرق من جنان العباد فالتصقت يده بالشجرة ولم يستطع الفرار حتى جاءه الشيخ ابن مرزوق فتاب الرجل على يده[3].

ورواية أخرى مفادها أن لصوص دخلوا روضة الإدريسي أحمد بن موسى يسرقونها فوجدوا السفرجل فأخذوا الكثير منه وحملوه في أكياس وأرادوا الخروج فلم يجدوا الطريق حتى قاموا

---

[1] القشيري: المصدر السابق، ص ص 565-566، محمد حلمي: المرجع السابق، ص 103، عبد الحميد الحلبي الأثري: **الدعوة السلفية بين الطرق الصوفية والدعاوى الصحفية**، ط 1، عمان، الأردن، 2007، ص 49.

[2] الكلاباذي: المصدر السابق، ص 78.

[3] ابن مرزوق: المناقب المرزوقية، ص 163-165.

بإفراغ تلك الأكياس ولما عادوا وحملوا الأكياس أضاعوا الطريق وتكرر منهم ذلك الفعل حتى الصباح، فتابوا على يد الشيخ لما رأوه من كراماته[1] وغير ذلك من الروايات الكثيرة.

وبذلك يمكن القول أن المسألة الأخلاقية نالت نصيبها من اهتمام الأولياء فسخروا طاقاتهم الخارقة لترميم السلوكيات المتردية بغية خلق مجتمع تسود فيه المثل، الصدق والوفاء والتضحية والتقوى وغيرها من مكارم الأخلاق وسموا الفضائل، ومن أمثلة ذلك ما كان يقوم به الصوفي أبو عبد الله بن الحجام[2] من تجهيز للبنات الفقيرات للزواج حتى لا تقعن في المفسدة ورغبة منه في الحد من آفة الزنا والأخلاق الفاسدة[3]

**ب/ نجدة المستغيث وكف الأذى على المظلوم:**

كان المغاربة عموما كلما حلت بهم الشدائد استغاثوا بالأولياء ونادوا على أسمائهم طلبا للفرج، ومن بين الروايات الدالة على ذلك نجد رواية مختصرها: أن رجلا كان قد أصابه كرب عظيم وهو راكب إلى الحج في سفينة رمته بالعراق دون إكمال مقصده، ولما دخل عليه الشيخ الحسن أبركان طلب له الفرج والصبر عما أصابه، فإذا بالرجل كذلك فأفرج عليه الله تعالى ويسر أمره وبلغ مقصده بالحج[4]، هذا إلى جانب أن هذا الشيخ كان له دور كبير في استغاثة السلطان العاقل[5] بما لحق به من أذى من طرف عمارة الزردالي وذلك بقطع رأسه والتخلص من أذاه نهائيا[6].

---

[1] ابن مريم: المصدر السابق، (تح: عبد القادر بوباية)، ص 83.

[2] محمد بن أحمد بن محمد اللخمي التلمساني (558 هـ-614 هـ/ 1163-1217 م) كان فاضلا صالحا واهدا نبيلا واعضا ذا حظ في الشعر والأدب، يحي ابن خلدون: المصدر السابق، ص 137.

[3] ابن الزيات: المصدر السابق، ص ص 462-463.

[4] المصدر نفسه، ص ص 111-112.

[5] وهو أبو العباس أحمد المعتصم بن أبي حمو موسى الثاني الملقب بالعاقل، تولى حكم تلمسان سنة 834 هـ/1430 م، لخضر عبدلي: المرجع السابق، ص 126.

[6] ابن مريم: المصدر السابق، (تح: عبد القادر بوباية)، ص 160.

وكان هناك كرامات كانت تحمل دعوة ضد الظلم والطغيان، بحيث ناهض الأولياء ذلك بشدة وسخروا إمكاناتهم للانتصار عليه وكان سلاح هؤلاء موجها ضد الأعداء وحتى في بعض الأحيان ضد السلطة، ومن بين ذلك إحدى الروايات التي تقول أن الشيخ أبو مدين شعيب الاشبيلي لما قام العدو بأسره وجعلوه في سفينة فيها جماعة من أسرى المسلمين ولما استقر بها توقفت عن السير رغم قوة الرياح، ولما رأى الروم ذلك طلبوا منه المغادرة لكنه أبى أن يفعل ذلك إلا إذا أطلق سراح جميع الأسرى فكان له ذلك[1].

وهذا عبد الله الحوتي المغراوي[2] الذي طلب العفو للناس من سلطان تلمسان مما رمى عليهم من ظلم، إلا أن طلبه رفض، مما جعله يدعوا عليه بالوجع والذي أصابه في الحين، مما دفع بالسلطان للتوبة والرجوع عن ظلمه للناس[3]، وهذه الكرامة تأكد على أن السلطة الروحية تسمو وتهيمن دائما على السلطة الزمنية وأن الحاجة إليها ملحة لضمان أمن وسلامة الأفراد والجماعات.

**ج/ التنبؤات والرؤى الصالحة والدعوى المستجابة:**

لقد استعمل الأولياء الصالحين في كرامتهم هذه عنصرا هاما تمثل في القدرة على التنبؤ بالأشياء قبل وقوعها وتجليها أمام عامة الناس واستكشاف أسرارهم، فهذه إحدى مناقب الشيخ أبي مدين في مسألة تلميذه الذي غاظته زوجته بالليل فتوى فراقها فلما أصبح بمجلس الشيخ قال له بأن يمسك زوجته ويتقي الله، فقال تلميذه بأنه لم يحدث بها أحد، فقال له الشيخ أنه حين دخلت المسجد رأيت هذه الآية مكتوبة في برنسك فعلمت

[1] المصدر نفسه، ص 208.

[2] عبد الله المغراوي: هو عبد الله بن منصور الحوتي بن عثمان المغراوي الولي الصالح، لترجمته ينظر: ابن مريم: المصدر السابق، (تح: عبد القادر بوباية)، ص ص 240-245.

[3] المصدر نفسه، ص 243.

نيتك[1]، ومن بين الروايات أيضا أن الشيخ إبراهيم المصمودي التلمساني كان يتنبأ بما يدور في أذهان الناس، وذلك أنه كان جالس في بيته هو وأحد أصحابه يقوم بقراءة القرآن ويشير بقضيب في يده إلى محل الوقف ضاربا على عادة شيوخ التجويد، فكان صحبه يراقبه ويقول في نفسه لما يفعل هذا؟ إذ لم يتم ما يذهنه حتى أجابه الشيخ عما كان يفكر فيه[2]، أما عن الدعوى المستجابة فقد ذكرت الكرامة مختصرها أن الشيخ ابن مرزوق كان دعاؤه مستجابا ومن أمثلة ذلك أنه دعا لرجل فقير ضعيفا فصح جسمه وأصبح ذو مال[3].

وهذه الروايات الكرامية تعد دلائل على رؤية الأولياء الصالحين للأشياء والأشخاص التي لا يمكن لغيرهم أن يروها لتميزهم بالبصيرة النافذة، ومن ذلك أن الشيخ الحسن الراشدي أبركان وعندما دخل عليه أحد من أصحابه القدامى في يوم حر فوجده في تعب عظيم والعرق يسيل عليه، فقال له إن هذا التعب الذي هو فيه إنما من ملاحقته للشيطان الذي دخل عليه في سورته وكان يتبعه وهو يؤذن إلى أن غاب عنه، فالأحداث الذي يراها الولي الصالح في المنام لا يمكن تفسيرها بكونها مجرد أحلام عادية وإنما هي في تصور الفكر الكرامي أحداث حقيقية سابقة لأوانها يكشفها الله لعبده الصالح في المنام فيخبر بها في اليقظة قبل أن تتجلى للناس بعد حين على ساحة الواقع، فيتأكد بذلك صدق رؤيته لذلك الولي وتصير فيما بعد كرامة تتداولها الألسن.

**د/ التحكم بالظواهر الطبيعية:**

ومن بين ما أفصحت عنه الكرامات اعتقاد الناس في قدرة الأولياء على التحكم في الظواهر الطبيعية، ومن مظاهر ذلك قدرتهم على اختراق المسافات الطوال بالطيران في الهواء وطي الأرض، ففي إحدى الروايات الكرامية أن أبو إسحاق الطيار كان يطير في

[1] المصدر نفسه، ص 112.

[2] المصدر نفسه، ص ص 139-141.

[3] ابن مرزوق: المناقب المرزوقية، المصدر السابق، ص 163-165.

الهواء ويمشي على الماء ومن ذلك أخذ لقبه "الطيار" ويقال أنه ذات يوم صلى الصبح في بغداد وقدم مكة فوجد أهلها في صلاة الصبح فجلس حتى صلى الظهر وذهب إلى بيت المقدس فوجدهم في صلاة الظهر وبعدها اختفى متجها إلى رؤية أبي مدين شعيب بتلمسان[1].

وهذا الأخير كان له القدرة على التحكم في الماء، حيث يذكر أن البئر الموجود في جامع الحناية كان قد جف عندما ذهب السلطان ليتوضأ منه، وذلك بسبب ما رآه الشيخ عندما كان يمشي على الملاحف وهذا تكبر منه، مما دفع السلطان للتوبة عما فعل عند مجيئه، فقال له الشيخ أبو مدين أن يذهب ويتوضأ فأتى البئر فوجد الماء يخرج من البئر فتوضأ ثم ذهب إلى الصلاة[2].

وهذا الشيخ محمد ابن أحمد الإدريسي[3] الذي أتى واديا مع العديد من الفرسان فوجدوه حاملا لا يجوزه إلا الفرسان وكانت عنده حمارة فحمل عليها فجازت مع الفرسان سالمة[4]، وقد روى الشيخ سيدي أحمد بن زكري[5] أنه حين نزلت ثلوج عظيمة بتلمسان تعطلت منها الأسواق وانهدمت منها الديار، ثم إن الشيخ الإدريسي كان إماما بالجامع الكبير ودخل يومها الجامع لصلاة الصبح إلا أنه وجده فارغا فوحد الله سبحانه

---

[1] ابن مريم: المصدر السابق، تح: عبد القادر بوباية، ص 209.

[2] المصدر نفسه، ص 245.

[3] **محمد ابن أحمد الإدريسي:** هو محمد بن أحمد بن علي بن يحي بن محمد بن القاسم بن حمود بن ميمون بن أحمد علي بن عبيد الله بن عمر بن إدريس بن إدرس بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، مات بعد مرض نحو ثمانية عشر يوم في عام 771 هـ/1369 م. لترجمة ينظر: ابن المرزوق: المناقب المرزوقية، المصدر السابق، ص 193. يحي ابن خلدون: المصدر السابق، ج 1، ص 120. التنبكتي: المصدر السابق، ص ص 430-445

[4] ابن مريم: المصدر السابق، ص 298.

[5] **سيدي أحمد بن زكري:** أحمد بن محمد بن زكري الفقيه الأصولي البياني المنطقي توفي سنة (900هـ/1494 م) وقبره مشهور بروضة الشيخ السنوسي، التنبكتي: المصدر السابق، ص ص 129-130.

وغادرفسمعه المؤذن في الصومعة فنزل فلم يجد له أثرا وإنما وجد له أثر قدم في الباب وأخرى في المحرابالأخضر[1]، وهذا يبين مدى قوة الكرامة الصوفية التي تصل إلى حد تحكم الأولياء بالظواهر الطبيعية إذ مكن هؤلاء من قطع مسافات طويلة في زمن محدود وبأقل مجهود، أي بخطوة واحدة.

**هـ/ شفاء المريض:**

وكان الأولياء أيضا يقومون بوظيفة أخرى تمثلت في تلبية رغبة المعتقدين في العلاج والشفاء وخاصة في الأمراض المستعصية، ومن أمثلة ذلك إحدى مناقب الشيخ أبو الحسن التكروري[2] الذي قام بشفاء رجل قاربت يده على البتر فدخل إليه وهو يصلي على مخدة فضربه على رأسه معاتبا له على صلاته فرفع رأسه وهو يبكي من شدة الوجع فرق الشيخ التكروري لحاله وبصق على الورم وقام، وما جاءت العشية إلا وأصبح الرجل يأكل بيده ويكتب بها[3]، إلى جانب ذلك كرامة أخرى تتمثل فيما ذكره سيدي محمد بن تونزرت الذي خرجت له أكلة (وهي حكة) في الخد وكان أمرها قد طال وصارت تتزايد حتى يأس من شفائها، إلى أن التقى بالشيخ الحسن أبركان فاشتكى له أمره، فنظر الشيخ إليه وأمره ببسط كفه فبصق له فيه ثم قال له بأن يضع ذلك على خده فإذا به يشفى من ذلك الشيء على الفور ولم يبقى منها شيء[4].

وهاتين الكرامتين دليل على أن الوظيفة العلاجية كانت تعد من أهم الوظائف التي تضطلع بها بركة الشيوخ الصوفية، كل ذلك يجعل منها ملجأ على المستوى المحلي

[1] ابن مريم : المصدر السابق، ص 102.

[2] أبو الحسن التكروري: العابد الولي من كبار الأولياء، لترجمة ينظر: ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، المصدر السابق، ص 231. وعبد المنعم القاسمي، المرجع السابق، ص 219.

[3] ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، المصدر السابق، ص 231.

[4] ابن مريم، المصدر السابق، تح: عبد القادر بوباية، ص 160.

والجهوي لكل من يود الشفاء من أمراض عضوية أو نفسية، ثم إن أهمية هذه الوظيفة العلاجية ترجع في هذه الفترة إلى كثرة المشاكل الصحية وغياب مراكز ومؤسسات متخصصة قادرة على مجابهة تلك المشاكل، ومن هنا فإن كرامات الاستشفاء هذه تكشف عن دعوة صريحة إلى طب مجاني يمارسه أشخاص مبجلون لهم القدرة على إشفاء المرضى.

**و/ مساعدة المحتاجين والتوسعة على المعسكرين:**

لقد تولى الأولياء مهمة مساعدة المحتاجين وتفريج الكرب على المعوزين والتوسعة عليهم في أوقات المحن والشدائد، وهناك العديد من الروايات التي تبرز إجابة الأولياء لمن توسل إليهم في تيسير أمره وقضاء حاجته، حيث يذكر التنبكتي أن محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي كان يأمر أهله بالصدقة لاسيما وقت الجوع بقوله: "من أحب الجنة فليكثر من الصدقة خصوصا في الغلاء" وكثيرا ما كان يتولى التصديق بيده[1].

ويذكر ابن الزيات أن أبا عبد الله محمد التاوتني التلمساني[2] لما كان في بجاية متجها إلى مكة تسابق رؤساء المراكب للفوز بصحبته في الرحلة فاشترط على كل من يركب معه أن يحمل كل الفقراء المتجهين إلى مكة بدون أجر فوافقوا على ذلك[3]، وتدل هذه الكرامة على تسهيل مأمورية الحج ومساعدة الفقراء الذين عجزوا عن أداء فريضتهم الدينية، كما نجد أحمد بن الحسن يتجول يوم الخميس في سوق ندرومة يملأ إبريقا بالماء

[1] التنبكتي: المصدر السابق، ص 563-572. ابن مريم: المصدر السابق، ت ح: عبد القادر بوباية، ص 84.

[2] أبا عبد الله التاوتني التلمساني: وهو محمد بن حسان التاوتني (ت 595 هـ/1198 م) أصله من تاونت من عمل تلمسان، لترجمة ينظر: عبد المنعم القاسمي، المرجع السابق، ص 306.

[3] ابن الزيات، المصدر السابق، ص 370.

في زمن الحر ويدور على الناس يسقيهم إلى أن يفترقوا، والذي قيل أن الماء به لا ينتهي أبدا[1].

**ز/ البركة في الطعام:**

وإضافة إلى ما سبق كان الفكر الكرامي يمثل تجسيدا لقيم القناعة والتآخي، ومن ذلك أن أبا عبد الله بن أبي بكر بن مرزوق كان كلما قدم لضيوفه طعاما يقولون له هذا لا يكفي الفرد دلالة عوالأرياف.كن عندما يتناولونه يشبعون ويبقى الطعام[2]، وهذه كرامة أخرى مفادها أن الشيخ محمد المسعودي الفجيجي[3] جاءه زوار وذلك في عام المجاعة ونزلوا عنده ولكن لم يجدوا عنده طعام والناس في أمر عظيم من الجوع فقالت له زوجته ما عندنا ما نطعم الضيوف وهو ركب عظيم فلا يوجد ما يغذيهم، فقال لها بأن رزقهم يأتيهم من عند الله فقام وصلى بهم الظهر وجلس ينظر في الكتاب إلى العصر فصلى بهم العصر فإذا برجل يأتيهم بطعام من قمح ولحم وغيره وكل ذلك من فضل الله[4].

أما عن الدور الذي لعبه الأولياء في المجال الديني فقد تجلى في توعية العامة بأمور دينها في المساجد والرباط والزوايا، فضلا عن كونهم يعملون على التعريف بالدين الإسلامي في البوادي والأرياف[5].

ولقد كانت فكرة الاعتقاد في الأولياء نتيجة لانبهار المجتمع بكراماتهم وقدراتهم الخارقة على كشف أسرار الناس والاطلاع على أمورهم المستقبلية[1] وتحقيق رغباتهم

---

[1] ابن مريم: المصدر السابق، ص 32.

[2] الطاهر بونابي: التصوف في الجزائر، المرجع السابق، ص 184.

[3] محمد المسعودي الفجيجي: هو محمد بن عبد الجبارين ميمون بن هارون المسعودي الفجيجي توفي سنة (950 هـ/1543 م)، لترجمة ينظر: ابن مريم: المصدر السابق، ص ص 438-439. عبد المنعم القاسمي: المرجع السابق، ص 314.

[4] ابن مريم: المصدر السابق، ص 439.

[5] الطاهر بوناني: التصوف في الجزائر، المرجع السابق، ص 192.

وتفريج الكروب عن المعسكرين وجلب الشفاء للمرضى وتخليصهم من الحكام الظلمة وقطاع الطرق من اللصوص وهداية الضالين من ذوي السلوك المنحرف وإنقاذ المجتمع من أزمات الجفاف والمجاعات وتحقيق أمنيات المتمنين[2]، حيث كانت الطبقة الدنيا هي أكبر شرائح المجتمع ترى اعتقادها في الصوفية والتبرك بهم مخرجا من أزماتها الاجتماعية والاقتصادية.

ولم تكن فكرة الاعتقاد في الأولياء والتبرك بهم مقتصرة على الأحياء من الصوفية وحسب بل أيضا على الأموات، وقد برزت ظاهرة زيارة القبور والأضرحة الصوفية بشكل واسع في أواسط تلمسان، حيث كانوا لا ينقطعون في التردد على العباد لزيارة قبر أبي مدين شعيب الذي كان أكثر القبور ازدحاما بالزوار، فضلا عن اعتقادهم هذا كانوا يعتقدون بأن الدفن بالقرب من صوفي يحصل منه البركة والغفران من الله، لذا كانت قبور العامة والخاصة تتزاحم بالقرب من قبور الصوفية[3]، كما جرت العادة عند بعض الأسر التلمسانية أن تتبرك ببقايا الأشياء التي يملكها الشيخ القطب والحفاظ عليها كما كانوا يتوارثونها كالمظلة التي كانت على رأسه والسجادة التي يصلي عليها والعكاز التي يتكئ عليها، حتى أن عائلة المرازقة التي تولت الخطابة في مسجد العباد كانوا يخدمون زاويته ويحفظون ما تركه الشيخ أبي مدين الغوث[4].

---

[1] الغبريني: المصدر السابق، ص ص 153-170.

[2] كان الصوفية يلجأون في حالات الجفاف إلى إقامة الصلاة الاستسقاء والدعاء إلى الله فتنعقد السحب وتتراكم ويسقط المطر، ابن الزيات، المصدر السابق، صكان الصوفية يلجأ في حالات الجفاف إلى إقامة الصلاة الاستسقاء والدعاء إلى الله فتنعقد السحب وتتراكم ويسقط المطر، ابن الزيات: المصدر السابق، ص 111. الغبريني: المصدر السابق، ص 151.

[3] ابن القنفذ: المصدر السابق، ص 106.

[4] التنبكتي: المصدر السابق، ص 267. عبد العزيز فيلالي: المصدر السابق، ج 2، ص 392.

ومما نستطيع القول أنه كان للتصوف أثر إيجابي على المجتمع التلمساني والمغرب الأوسط ككل، كالدور الذي لعبه في تعريب الأوساط الشعبية، ونشر تعاليم الدين في الأوساط نفسها، كما لعب دورا هاما في حماية ثغور المدينة بتجنيد العامة ضد المعتدين على السواحل والمناطق وذلك من خلال إنشائهم للربط، وغير ذلك من العديد من الآثار الإيجابية التي خلفتها هذه الظاهرة على المجتمع الزياني.

كما يمكننا القول أن ظاهرة الاعتقاد في الأولياء والتبرك بهم وتكريمهم وتبجيلهم في مدينة تلمسان خلال العهد الزياني (7 إلى 10 هـ/ 13 إلى 16 م) سادت كل الشرائح من أعلى المستويات من بلاط الدولة إلى الرجل العادي وأصبحت جزءا من تفكير المجتمع وعنصرا هاما في تركيبته العقلية، تعكس سلوكا دينيا وأخلاقيا،والذي جعل المجتمع متماسكا، يسود فيه التكافل والتعاون بين أفراده، والتي اقتنعت بالخوارق كوسيلة للخلاص من دنس الحاضرة إلى طهارة المستقبل لارتباطها الوثيق بالدين وطبيعتها المستمدة منه، الذي هيأ الذهن بنصوصه القرآنية والسنة النبوية .

**المبحث الثالث: تشجيع الدولة الزيانية للتدين الشعبي:**

كان لرجال الدين من فقهاء وعلماء ومتصوفة مكانة رفيعة وحفاوة كبيرة عند سلاطين الدولة الزيانية فكانت مجالسهم عامرة بهم نظرا لأهميتهم الكبيرة، وهذا ما دفع أبو حمو موسى الثاني بالقول: "أنهم مصابيح الدين فيهم تقام الشرائع وتشد الذرائع وتعتصم بهم من الأحوال والبدع يعتز بهم الإسلام ويرتفع"[1].

[1] أبو حمو موسى، المصدر السابق، ص 82.

وكما قال فيهم ابن الخطيب: "وأعلم أن مواقع العلماء من ملكك مواقع المشاغل المتألقة والمصابيح المتعلقة، وعلى قدر تعاهدها تبذل من الضياء، وتجلوا بنورها صور الأشياء...إذ محيت المفاخر خربالدول".[1].

وتعود أسباب اهتمام السلاطين بهذه الفئة إلى أنهم يستعينون بهم في تسيير شؤون الدولة، باعتبار أن كبار الفقهاء والكتاب العلماء كانوا يتداولون الوظائف الحيوية للدولة كالقضاء والفتيا والخطابة والتعليم وغيرها من الوظائف الهامة، التي كانت لها آثارها الإيجابية على الدولة كصيانتها من الانهيار والارتقاء بها والمحافظة على تماسك المجتمع.

لذلك عمد سلاطين بني زيان على تقريبهم لهم والاهتمام بهم، ومثال ذلك السلطان أبو حمو موسى الأول الذي كان قد اتخذ الفقيه أبو عبد الله محمد بن هدية (737 هـ/1337 م) و ولاه منصب القضاء ومنصب رئيس الوزراء[2] كما قام بالاستعانة بابني الإمام فيما يخص الفتيا والشورى فكان لا يفارق مجلسهما للاستماع إلى نصائحهما[3] ولم يقتصر استعماله لهم على الوظائف الدينية والسياسية فقط بل تعدى ذلك إلى إفادتهم بالرسائل في الأمور المهمة.

ومن عوامل امتلاكهم لهذه المكانة المهمة سواء عند السلاطين أو بين عامة الناس هو قوة السلطة المعنوية التي تتمتع بها هذه الفئة، والتي تعد من أهم العوامل المساعدة على التأثير في الناس وتوجيههم لما حازوه من علم شرعي شأنهم في ذلك شأن علماء

[1] المقري، نفخ الطيب، المصدر السابق، ج 6، ص 441.
[2] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص ص 153-154.
[3] التنسي، المصدر السابق، ص 139.

الإسلام في كل الأزمنة وارتباطهم الشديد بأفراد مجتمعهم[1] حيث أن كلمتهم أصبحت مسموعة في المجتمع، فكانوا يقومون بالتأطير لشؤون الرعية سواء في مجال العبادات أو المعاملات أو العلم أو التدريس، ويميزهم ابن خلدون بقوله: "تجد كثيرا من الفقهاء وأهل الدين والعبادة، إذ اشتهروا حسن الظن بهم واعتقد الجمهور معاملة الله في أردافهم فاخلص الناس في إعانتهم"[2] فلقد قاموا بمحاربة شتى الآفات الاجتماعية وساهموا في انتعاش الحياة الاقتصادية، وذلك بمعالجة الأحكام المتعلقة بها ومحاربة كل ما يؤثر عليها والدفاع عن حقوقهم[3].

وهذا ما أدى بسلاطين بني زيان إلى استثمار نفوذهم بالتقرب لهم والتودد إليهم بشتى الطرق حفاظا على مكانتهم بين الرعية، إلا أن حسن سيرة الفقهاء واجتنابهم لمغريات الدنيا وزخرف الحياة، جعل صلتهم بالأمراء والسلاطين تكون قائمة على التودد والتملق والاسترضاء أو التمسح بأطرافهم وطلب رضاهم بل كان أغلبهم يتسامح معهم في الرأي والفتيا، لا يضعون الدين لرغباتهم ولا يخشون في الله لومة لائم[4] ومن بين الفقهاء الذين وقفوا موقف المعارضة للسلطان والتزموا الجرأة في قول الحق والنصح عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الفقيه العالم أبو العباس الونشريسي، الذي سارع إلى الإعلان عن مواقفه الصريحة من سلاطين بني زيان منتقدا ما يقومون به من تصرفات غير شرعية كتقديم الجهال على العلماء في تولية المناصب الشرعية كالقضاء والفتوى وعدها من البدع المحرمة إلي لا يجوز السكوت عنها[5] حيث قام بمعارضة سياسة

---

[1] حفيظ كعوان، **أثر فقهاء المالكية الاجتماعي والثقافي بإفريقية من القرن (2-5 هـ/118 م)**، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة، 2009، ص 37.

[2] ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 389.

[3] عبد العزيز فيلالي، المصدر السابق، ج 2، ص 380.

[4] ابن فرحون، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، تح: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، شارع الجمهورية، القاهرة، د ت، مقدمة الكتاب، ص (أ-ب).

[5] الونشريسي، المصدر السابق، ج 2، ص ص 491-491.

السلطان أبي عبد الله محمد المتوكل (866-873 هـ/1462-1469 م) واتهمه بالضعف والاستكانة وعدم قدرته على تسيير شؤون الدولة وإدارة الأحداث بتعقل وحكمة[1].

ولقد تميز هذا النوع من الفقهاء بارتقائهم في درجات العلم وولعهم بالإخلاص لله في نشره بين الناس وبذلك أصبحت شهرتهم ونفوذهم العلمي أكبر من أن تنال منه سطوة السلاطين وهذا ما أبعدهم عن أخلاق الخوف والرجاء حيث نجد منهم الشريف التلمساني الذي كان من أئمة المالكية ومجتهديهم[2] الذي كان كثير الجد في الأمر والنهي، لا تعدل الدنيا عنده شيئا، يتباعد عن الملوك مع إقبالهم عليه وحرصهم على تقريبه ورفعته[3] وهذا ما جعل هؤلاء العلماء مستقلون يشكلون في مجموعهم الهيئة العلمية التي ورثت العلم، وساهمت في استمرار رسالتهم صافية إلى جانب هؤلاء الأصناف من الفقهاء نجد أن ثلة أخرى من الفقهاء والعلماء، قد اتجهوا إلى حياة العزلة والتصوف بسبب الأوضاع والظروف السياسية المضطربة وسوء الأحوال الاقتصادية[4] والتي كانت علاقة السلاطين الزيانيين بهم ابتداء من مؤسس دولتهم يغمراسن الذي ولى هؤلاء اهتماما كبيرا نظرا لما كان يتمتع به هؤلاء من نفوذ داخل المجتمع[5].

وكانت هذه الفترة تعد من أبرز مراحل التاريخ الزيانياحتفاء وتقديرا بالصوفية ليس بدافع التخوف من نفوذهم أو لأجل استثماره في خدمة دولتهم الناشئة، ولكن من باب التبرك وتقديس الأولياء والاعتقاد فيه، لأن الزيانيين لم يمهدوا لقيام دولتهم بدعوى مذهبية أو عقيدية، تجعلهم يخشون التصادم مع الأفكار الصوفية كما حدث بالنسبة للمرابطين

---

[1] مختار حساني، المصدر السابق، ج 2، ص 219.

[2] ابن مريم، المصدر السابق، تح: ابن أبي شنب، ص 157

[3] التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص 439.

[4] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، (1500-1830)، ط 2، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 1990، ج 1، ص 32.

[5] محمد بوشقيف، المرجع السابق، ص 38.

والموحدين[1] فلقد كان السلطان يغمراسن معجبا بالصوفية والمتصوفين ساعيا للتقرب منهم متحمسا لنيل بركاتهم كثيرا ما يجالسهم الصلاة وحريصا على زيارتهم فكان يكثر من الصلاة في مسجد الطلبة حيث يصلي الشيخ أبو عبد الله بن مروان فتردد على هذا المسجد عدة مرات، عسى أن يلتقي بالشيخ ويتحدث إليه إلا أنه لم يتمكن من ذلك لأن ابن مرزوق كان يحرص على أن يتفاداه وعندما لم يستطع أن يقابله قال حجبنا الله عنه وبكى ولكن لعل الله يجمعني عنده في الآخرة[2].

كما كان يكثر من زيارة الولي الشهير أبي البيان واضح[3] الذي ارتحل لزيارته في موضعه بجبل آفرشان ملتمسا بركته والدعاء له ولعقبه[4] ولأنه كان يسعى للتقرب منهم راغبا لنيل بركتهم كان يكثر من زيارة الشيخ الصالح سيدي أبي مدين عبد الله بن عيسى بمسكنه بمدينة أجادير طلبا للدعاء[5] كما كان يستقبل الصوفية في بلاطه ويقضي حوائجهم ويلبي مطالب العامة، ومن ذلك أن الصوفي إبراهيم بن علي الخياط يدخل على يغمراسن سبعين مرة في اليوم، كان يحمل إليه هموم الرعية ومشاكلها فكان يغمراسن يقول لبطانته: "دعوه فهو رحمة للمسلمين، وما قضى الله تعالى بقضية والله لا أمنعه عن قصده"[6] كما كان يكرم ويغدق الأموال على الصوفية ومن ذلك أنه قام بجلب الفقيه الصوفي صاحب الكرامات أبي إسحاقإبراهيمالتنسي من تنس إلى الإقامة في تلمسان[7] وكان من أهم الدلائل على حسن اعتقاده بالصوفية أنه عندما حضرته الوفاة أوصى أبنائه

[1] خالد بالعربي، ورقات زيانية، المرجع السابق، ص 136.

[2] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج 2، ص 389.

[3] وهو واضح بن عثمان بن محمد بن عيسى بن فركون المغراوي، أبو البيان الفقيه القاضي الأعدل الصالح توفي سنة 856 هـ، التنبكي، نبل الابتهاج، المصدر السابق، ص 619.

[4] التنسي، المصدر السابق، ص 126.

[5] ابن مريم، المصدر السابق، تح: عبد القادر بوباية، ص 224.

[6] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص 155.

[7] التنسي، المصدر السابق، ص 126.

بأن يدفن أبو عبد الله بن مرزوق إلى جانبه، فنفذ ابنه أبو سعيد عثمان الوصية ودفن ابن مرزوق بجوار والده بالدويرة التي بالجامع الأعظم[1] كما أوصى أبنائهأيضا أن يدفنوا بجانبه الآخر أول صوفي يتوفى من أصحاب أبي مرزوق من التلمسانيين فكان ذلك أبو الحسن بن النجارية فدفن بجواره[2].

كما أن ابنه أبو سعيد عثمان الأول (681 هـ) كان قد واصل سياسة والده في التقرب من الصوفية والتودد عليهم بحيث قام ببناء ضريح على قبر أبي إسحاق الطيار (1301 م) تبركا به[3].

كما كانت العناية وإكبار شأن الصالحين من سمة السلطان أبي العباس أحمد العاقل بن أبي حمو موسى الثاني (834-866 هـ/1430-1460 م) الذي قرب إليه الوالي أبا علي الحسن بن مخلوف الذي كان يكثر من زيارته ويقتبس من إشارته[4] وهذا ما يبين منزلتهم الرفيعة حيث كان قلما يرفض لهم طلبا لأنهم كانوا يدعون للسلم والتصالح.

ومما سبق يمكننا استخلاص التالي:

- أن المؤسسة الدينية في العهد الزياني كانت قد بلغت مستوى كبير من الأهمية نتيجة لاهتمام الدولة بها ودعمها باعتبارها أداة ربط هامة بين السلطة والفقهاء.
- أن العلاقة بين الفقيه والسلطان في مدينة تلمسان الزيانية قد تبلورت من خلال الجهاز التعليمي وعبر مؤسستين مهمتين هما المساجد السلطانية والمدارس، فالمساجد السلطانية أسهمت بشكل وافر في بعث الحركة الفكرية والفقهية بتلمسان على وجه الخصوص، وذلك

[1] ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، المصدر السابق، ص 167، يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص 152.
[2] المصدر نفسه، ج 1، ص 160.
[3] ابن مريم، المصدر السابق، ص 126.
[4] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص 235.

بفضل نشاط كبار الفقهاء الذين تم استقدام عدد منهم إلى تلمسان وتوفير الظروف المناسبة لاستقرار عدد آخر منهم أين كان السلطان يشرف بنفسه على اختيار من يتصدر التدريس بهذه المساجد انطلاقا من تكليفهم بهذه المهمة رسميا أو لخضوع التدريس بهذه المؤسسة لرخصة منه، وقد أثمرت مجهودات بني زيان في هذا المجال بتزويد تلمسان بعدد هام من الفقهاء ممن كانوا أصيلي المنطقة أو أكملوا تعليمهم بها.

- أن السلطة الزيانية وخاصة في عهد أبي حمو موسى الثاني قد تمكنت من تحويل الاحتفال بالمناسبات الدينية وفي مقدمتها المولد النبوي من ظاهرة دينية شعبية إلى ظاهرة سياسية التقت فيها مختلف شرائح المجتمع يتقدمها رجال البلاط وعلى رأسهم السلطان والفقهاء الطلبة ومورست فيها العديد من الطقوس الخاصة بتمجيد شخص السلطان والإعلاء من شأنه باعتباره خليفة رسول الله وسليل البيت النبوي ولذلك عد الاحتفال بهذه الظاهرة من القنوات الرئيسية في احتواء السلطة للفقهاء ودعم نفوذها الأدبي.
- أن المزج بين تعظيم الرسول وممارسة عدة شعائر دينية جعل عددا من المتصوفة والفقهاء يشيدون بهذه المبادرة وينخرطون في طقوسها مع مشاركة واسعة من عامة المجتمع وتمجيدهم السلطة في شخصية الحاكم عبر ما يرفع من مولديات يكون مدحه فيها مكونا أساسيا، وبذلك تحولت هذه المبادرة التي سنها فقيه مغربي بارز من مضمونها الديني المحض إلى بعد سياسي اجتماعي هام، ما جعلها تحمل الشرعية الدينية الرسمية والشعبية.

كما أنه لا يمكننا إبعاد العامل النفسي في بعث الحياة الدينية في مثل هذه الاحتفالات وتجديد أواصر الاتصال مع الرسول صلى الله عليه وسلم عن طريق الاسترجاع الجماعي للماضي الذي يسهم بشكل فعال في تحصين الذات وبالتالي منحها القدرة على محاربة الأخطار الخارجية خاصة إذا خلت من المحرمات والمناكر.

# الفصل الثالث: التدين الرسمي

# في تلمسان الزيانية

## المبحث الأول: التصوف الرسمي في العهد الزياني

جرت العادة في تلمسان أن يتم الاحتفال بالمناسبات الدينية والأعياد الدينية فقد قام سلاطين بني زيان بإبلائها اهتماما كبيرا بحيث أخذت طابعا رسميا، ومن بين هذه الاحتفالات نجد الاحتفال بالمولد النبوي الشريف والاحتفال بختم القرآن الكريم أو جزء منه، الاحتفال بالأعياد، الاحتفال بميلاد الأطفال، وغيرها.

### 1.الاحتفال بالمولد النبوي

إن ظاهرة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف هي أهم ظاهرة دينية وثقافية رسخها الزيانيون في المجتمع الجزائري، وقد بدأت هذه الظاهرة في المشرق في عهد الدولة الفاطمية منذ عهد الخليفة المعز لدين الله الفاطمي بمصر(341-365 هـ/952-975 م) وقد تقرر هذا الاحتفال ضمن سلسلة الاحتفالات بستة مواليد وهي مولد الرسول صلى الله عليه وسلم ومواليد آل البيت الأربعة (علي بن أبي طالب والحسن والحسين وفاطمة الزهراء رضي الله عنهم) والسادس هو مولد الخليفة الحاضر[1].

وقد تبنت مناطق مختلفة بما فيهم أهل مكة المكرمة والحرم النبوي الاحتفال بهذه المناسبة خلال القرن السادس هجري الثاني عشر ميلادي حيث كانت مراسيم الاحتفال بمسقط رأس الرسول صلى الله عليه وسلم تبدأ في شهر ربيع الأول ويوم الاثنين منه وأصبح هذا اليوم في أوائل القرن السابع هجري الثالث عشر ميلادي عطلة رسمية تفتح فيها الكعبة ليزورها الناس جميعا[2].

أما عن بدايات هذا الاحتفال في بلاد المغرب الإسلامي فقد كان أمير سبتة أبو العباس أحمد بن القاضي محمد بن أحمد العزفي اللخمي السبتي (577-633

[1] المقريزي: **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، المعروف بالخطط المقرونة، ط 2، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 1987، ج 2، ص 490.

[2] محمد المنوني: **ورقات عن حضارة المرينيين**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2000، ص 519.

هـ/1161-1235 م)[1] أول من تبنى هذه المبادرة، حيث دعا إلى الاحتفال بالمولد النبوي الشريف في مدينة سبتة بالمغرب الأقصى وألف كتابا لهذا الغرض عنوانه "الدر المنظم في مولد النبي المعظم" وتوفي قبل إكماله فأتمه ابنه الشيخ العالم أبو القاسم محمد (607-677 هـ/1211-1279 م)[2] وقام على تدريسه مع سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم[3].

وبمجيء الحكم المريني شهدت هذه المناسبة تطورا ملحوظا لما كانت تلقاه من عناية خاصة واهتمام كبير، وكان أول من قام بهذا الاحتفال من سلاطين بني مرين أبو يوسف يعقوب عبد الحق (656-685 هـ/1258-1286 م) وظلت هذه الظاهرة حتى شملت جميع أقاليم المغرب الأقصى في عهد السلطان يوسف بن يعقوب (685-706 هـ/1286-1307 م) الذي لم يتوان في تعميمها والدعوة إلى تعظيمها فأصدر بذلك مرسوما سلطانيا في آخر صفر سنة (691هـ/1291م) يجعل المولد من الأعياد الرسمية في جميع بلاده تعظيمه له[4]، وبالتالي أصبح اليوم الثاني عشر من ربيع الأول عيدا رسميا يحتفل به في جميع أقاليم المغرب الأقصى.

وبلغ هذا الاحتفال أوجه في عهد السلطان أبي الحسن المريني (731-749هـ/ 1331-1348م) وابنه أبي عنان (749-459هـ/1348-1358م) وقد كانا يحتفلان أيضا بليلة السابع منه احتفالهما بليلة مولد المصطفى عليه الصلاة والسلام[5]، وبسبب

---

[1] لترجمته ينظر: التنبكتي: نيل الابتهاج، المصدر سابق، ص 77، الرعيني: **برنامج شيوخ ابن الفخار الرعيني**، تح: إبراهيم شبوح، دمشق، سوريا، 1959، ص 116.

[2] لترجمة ينظر: الزركي خير الدين: **الأعلام**/ ط 15، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ماي 2002، ج 5، ص 323.

[3] التازي عبد الهادي: **لماذا عيد المولد النبوي في المغرب الاسلامي والأسباب التي كانت من وراءه**، مجلة دعوة الحق، ع 277، الرباط، ديسمبر 1989، ص 48.

[4] ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 380.

[5] ابن مرزوق: **المسند الصحيح**، المصدر السابق، ص ص 152-154.

الحصار الذي فرضاه على تلمسان لمدة تزيد عن اثني عشر سنة كانا خلالها يحتفلان بهذه المناسبة، فبالتالي يكون أهل تلمسان قد عرفوا ظاهرة الاحتفال بالمولد النبوي إلا أنها لم تكن منتظمة.

إذا وبتأثير من المرينيين انتقل هذا الاحتفال إلى البلاط الزياني لكن هذا الأخير عرفه في وقت متأخر عن جيرانه وذلك بسبب معارضة فقهاء المالكية له[1]، لهذا لم يتجرأ الناس ولا الحكام على تبني هذا الاحتفال قبل عهد أبو حمو موسى الثاني وذلك وفقا لما تشير إليه معظم المصادر والتي تجمع على أن تاريخ شيوع الاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف في تلمسان بدأ مع تولي أبو حمو موسى الثاني مقاليد الحكم سنة (760 هـ/1359 م)، فعند انتصار هذا الأخير على بني مرين أعاد إحياء دولة الأجداد بالمغرب الأوسط وصادف ذلك حلول ذكرى المولد الشريف فلم يتوان في انتهاز الفرصة للاحتفال به فأقام بهذه المناسبة حفلا كبيرا وجعل هذا اليوم من الأعياد الرسمية للدولة[2]. حتى أنه كان قد أوصى ابنه بانتهاج سياسته الدينية في هذا المجال قائلا: "...وأتبع آثارنا في القيام بليلة مولد النبي صلى الله عليه وسلم، واستعد لها بما تستطيع من الإنفاق العام وأجعله سنة مؤكدة في كل عام تواسي في تلك الليلة الفقراء، وتعطي الشعراء، وإن ركبت فيك الغريزة الشعرية وتحليت بالحلية الأدبية، زدت جمالا إلى جمالك وكمالا إلى كمالك فانظم المولديات، وأجر مع حلية السابقين في الأدبيات، تحرز بذلك أفضل المزيات وهذا يا بني دأبنا في كل عام وسنتنا على الاستمرار والدوام"[3].

وبهذا كان السلاطين بني زيان وأمرائهم يعطون أهمية بالغة للذكرى النبوية العطرة ويقيمون بهذه المناسبة احتفالات عظيمة، تبدأ مع حلول شهر ربيع الأول لتبلغ الذروة في

[1] عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ج 1، ص 278.

[2] المرجع نفسه، ج 1، ص ص 282-281.

[3] أبو حمو موسى الثاني: المصدر السابق، ص 167.

ليلة الثاني عشر منه وهي ليلة مولد الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم، وكان السلطان الزياني ربما يتعسف في السلطة أو يسرف في التبذير أو يستولي على الحكم بالانقلاب على أبيه وأخيه أو عمه ولو يكلفه ذلك سجنه أو نفيه، لكنه لا يتهاون أبدا في إقامة احتفالات ضخمة بمناسبة المولد النبوي الشريف.

*** مظاهر الاحتفال بالمولد النبوي:**

لقد تطورت الاحتفالات بالمولد النبوي بتلمسان تطورا بلغ غايته من الزينة والفرح والبهجة خاصة في عهد أبي حمو موسى الثاني (760-791 هـ/1359-1389 م) والذي كان يشرف على هذه الاحتفالات بنفسه ويقدم لها بقصره عرسا من الزينة والجمال وبذلك اكتسى الاحتفال حلة جميلة وطابعا مميزا في عهده فمنذ توليه العرش خص هذا الاحتفال بعناية فائقة دون غيرها، وفي ذلك يقول التنسي: "وكان يقوم بحق ليلة المصطفى صلى الله عليه وسلم ويحتفل بها هو فوق سائر المراسم"[1].

ونجد كذلك يحي ابن خلدون يصف هذه الليلة فيقول: "أطلت ليلة المولد النبوي على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم فأقام لها بمشور داره العلية مدعى كريما وعرسا حافلة"[2]، وقد كان السلطان يحشد لها إمكانيات مادية هائلة وصلت إلى حد المبالغة في الإنفاق خاصة فيما يخص الجانب الشكلي من الحفل، لذلك نجد التنسي يعود فيقول: "...ويقيم مدعاة يحشر لها الأشراف والسوقة، فما شئت من نمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة ووسائد مغطاة بالذهب، وشمع كأنها الأسطوانات القائمة على مراكز الصفر المموهة"[3].

---

[1] التنسي: المصدر السابق، ص 163.

[2] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج 2، ص 39.

[3] التنسي: المصدر السابق، ص 163.

وكان يحضر هذا الحفل كافة الناس خاصتهم وعامتهم، وذلك بداية بالسلطان وما يليه من أعيان وغيرهم من عامة الناس وحتى كل عابر لتلمسان، كما كان يدعو أهل العلم والفضل من سكان المدينة في كل مولد وكان يبدي لهم كل مظاهر الترحاب والاحتفاء، وكان الحضور مرتبين حسب مراتبهم الاجتماعية يتصدرهم السلطان، وكان يطوف على الحضور أطفال يرتدون الحرير ويحملون المباخر والمرشات يخرج منها دخان العنبر وماء الزهر والورد لتفوح من المكان الرائحة الزكية، هذا طبقا لما وصفه صاحب بغية الرواد عن هذه الذكرى الكريمة حيث يقول:"...**والخليفة تصدر مجلسها ممتطيا سرير ملكه يسر الناظرين رواؤه، حفافيه ملأ لتجلة من قومه وأعيان الطبقات من أهل حضرة خلافته على مقاعد عينها الاختصاص، ورتب بعضها فوق بعض المناصب تخالهم قطع الرياض النضرات، قد أغضى الجلال من أبصارهم وخفضت المهابة من أصواتهم فلا تبصر إلا جمالا، ولا تسمع إلا همسا، يطوف عليهم ولدان أشعروا أقبية الخز الملون، وبأيديهم مباخر ومرشات، يخيم دخان عنبر تلك المفعمللآناف الجو، فتمطر هذه الحفل وابلا من ماء الورد المنسوب إلى نصيبين**"[1].

ويبدأ الاحتفال عادة منذ المساء بحيث تعرض على الحضور ساعة المنجانة[2] الشهيرة والتي كانت تصاحب هذا الحفل معلنة بعد مضي كل ساعة عن الزمن وعن مبايعتها الرمزية للخليفة حتى أننا نجد أن الكاتب يحي ابن خلدون وضع لها أبيات من الشعر تتحدث عن كل ساعة ويمدح فيها السلطان.

[1] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج 2، ص 39.

[2] ساعة المنجانة أو خزانة المنكانة أو ساعة المتقانة وهي من اختراع الفقيه العالم أبو الحسن علي ابن أحمد المعروف بابن الفحام (كان حيا في 769 هـ/1367 م) كانت محفوظة في قصر المشور وتعرض على الحضور في الاحتفالات والمناسبات الرسمية كعيد المولد النبوي الشريف، التنسي: المصدر السابق، ص 163. يحي ابن خلدون: المصدر السابق، ج 1، ص 156.

وأما عن أهم ما كان يميز هذا الحفل فهو إلقاء القصائد والمدائح في حق المصطفى عليه الصلاة والسلام والتي كانت تعرف بالمولديات، فكان الشعراء الزيانيونيتنافسون في إلقائها ويعبرون فيها عن حبهم للرسول صلى الله عليه والسلام وشوقهم له، حتى أصبح هذا العصر يعرف عصر المولديات[1]، والتي لم تقتصر على الشعراء فقط بل حتى الملوك والأمراء والوزراء والأطباء وغيرهم ممن كانوا يشاركون بقصائدهم في الحفل، والتي كانت تلقى بأساليب وفنون مختلفة وأحيانا بواسطة مطربين.

وقبل بداية الاستماع للقصائد يسود الصمت والهدوء المكان، وكان السلطان أبو حمو الثاني (760-791 هـ/1359-1389 م) هو من ينشد أول القصائد والتي من خلالها كان يظهر حبه الشديد للرسول وشوقه لزيارة الحرمين، وعن ندمه على ما مضى من حياته والتوسل بالرسول صلى الله عليه وسلم في الشفاعة له عند الله، كما كان يشرك حاضريه في بعض المشاعر التي كان يقاسيها جراء ما كان يواجه من ظروف صعبة[2]، كما هو الشأن في القصيدة التي نظمها سنة (761 هـ/1360 م) والتي استهلها بالأبيات التالية:

نـام الأحـباب ولــم تــنم *** عيني بمصارعة الندم

والدمـع تحــدر كالــديم *** جرح الخدين فوا ألمي

وزجرت النفس فما ازدجرت *** ونهيت القلب فلم يرم[3]

وكان أبو موسى حمو قد أورد هذه القصيدة في كتابه واسطة السلوك في سياسة الملوك في سياق توصيته ابنه برعاية الحجاج ومساعدتهم والذي قال أنه نظمها شوقا منه للمقام الشريف وقام بإرسالها مع بعض الحجاج إلى قبر الرسول صلى الله عليه وسلم[1].

---

[1] عبد الله مرتاض: **حركة الشعر في تلمسان على عهد أبي حمو الثاني**، مجلة الأصالة، ع 26، قسنطينة، الجزائر، 1975، ص ص 313-314.

[2] صابرة خطيف، المرجع السابق، ص 241.

[3] يحي ابن خلدون: المصدر السابق، (تح: بوزياني الدراجي)، ج 2، ص 104.

وبعد انتهائه من إلقاء قصيدته كان يأتي دور إنشاد القصائد والتباري بها والتي نظمها شعراء تلمسان وأدباءها وحتى فقهائها، والتي كانوا يقومون بتخصيص جزء منها في مدح السلطان وكذا في وصف مدينة تلمسان، وقد تم حصر ثمانية وثلاثين قصيدة في المولد النبوي بالبلاطالزياني ما بين سنتي (760 هـ/1358 م) و (778 هـ/1376م)[2].

فبالإضافة إلى القصيدة التي نظمها يحي ابن خلدون في مدح أبي حمو كان هناك اثنا عشرة قصيدة للسلطان[3]، وأربع قصائد لطبيبه (الحاج محمد بن أبي جمعة بن علي التلاسي)[4]، وسبع عشرة للفقهاء[5]، وخمس للطلبة[6]، وقد تم ذكر جلها في كل من كتاب يحي ابن خلدون وزهر البستان وإن كان الأول ركز على قصائد السلطان فإن صاحب وزهر البستان سلط الضوء على قصائد الفقهاء والطلبة باعتبارهم فقهاء المستقبل. وبذلك يكون هذا الاحتفال قد شكل فرصة متكافئة للسلطة والفقهاء في دعم بعضهم البعض.

وتستمر عملية قراءة القصائد إلى آخر الليل أين يؤتى بموائد الطعام التي وصفها التنسي في نظم الدر قائلا: "ثم تؤتى آخر الليل بموائد كالهالات دورا والرياض نورا"[7]، وهذه الموائد تحتوي على أشهى أنواع الشراب والطعام من فواكه وحلويات التي يفضلها

---

[1] أبو حمو موسى: المصدر السابق، ص 10.

[2] صابرة خطيف: المرجع السابق، ص 244.

[3] أنظر الملحق رقم 15.

[4] مجهول: زهر البستان، ت ح وتق: بوزيان الدراجي، مؤسسة بوزياني للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ج 2، ص ص 131-133.

[5] المصدر نفسه، ص ص 69-352.

[6] المصدر نفسه: ص ص 133-267. يحي ابن خلدون: المصدر السابق، ج 2، ص ص 502-506.

[7] التنسي: المصدر السابق، ص 163.

الناس في تلمسان، فيتناول الحضور الطعام بما فيهم السلطان والذي ينصرف بعد أن يؤدي صلاة الصبح جماعة[1].

واستمر أبو حمو موسى الثاني على دأبه هذا في جميع الذكريات المولدية، وهو ما قام به جل السلاطين من بعده، فقد ظلوا يرعون هذه المناسبة ويحتفلون بها احتفال أسلافهم، فكانوا يغتنمون هذه الفرصة لتوزيع الهدايا المختلفة ولقضاء ديون بعض الناس المحبوسة وكذا عن الأموات أو التخفيف عن بعض المساجين بتسريحهم أو تقليص مدة سجنهم، كما كان الأثرياء من الفقهاء يحرصون على إقامة الولائم ودعوة العامة لها.

لم يكن إحياء المولد محط اهتمام ولاة الأمور فحسب، فلقد كان أيضا يلقى اهتماما كبيرا من سائر طبقات المجتمع التلمساني، حيث اعتاد الناس يومها على التزين بما حسن من الثياب وركوب الدواب لإظهار السرور لمولده عليه الصلاة والسلام، كما كانت تكثر في تلك المناسبة الصلاة على النبي وإحياء سنته، بالاستكثار من الصدقات على الفقراء والمساكين واليتامى ونصرة المظلوم[2] ومختلف أعمال البر، كما كانوا يعدون أطعمة لهم والتوسعة على الأبناء بالأكل، ويوقدون الشموع والبخور في منازلهم وكذلك في المساجد والزوايا أين يجتمع الطلاب للصلاة على الرسول ويقوم حسن الصوت منهم بقراءة ما تيسر من القرآن وإنشاد بعض القصائد في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم[3].

وقد تصدى عدد من الفقهاء إلى ظاهرة إيقاد الشموع في منازل العامة ودور العبادة ليلة المولد وسابعه واعتبروها بدعة خارجة عن الشرع يجب قطعها وعلى رأسهم الفقيه أبو عبد الله بن مرزوق الحفيد (842 هـ/1439 م) والذي استطاع أن يبطلها في مدينة

[1] يحي ابن خلدون: المصدر السابق، ج 2، ص 46.

[2] الونشريسي: المصدر السابق، ج 11، ص ص 278-280.

[3] المصدر نفسه، ج 12، ص ص 48-49.

تلمسان طوال حياته لكنها كانت عادت من جديد في أواسط المجتمع بعد وفاته وبصورة أكثر وبكثافة أشد[1].

إضافة إلى الفقيه أحمد بن يحي الونشريسي والذي لم يعارض مسألة الشموع فحسب، بل وحتى فكرة الاحتفال نفسها وحجته في هذا أن السلف الصالح من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم والتابعون لهم، لم يكونوا يفعلون في ليلتها زيادة عن سائر ليالي السنة ودليله على ذلك أنهم اختلفوا فيها فقيل أنه ولد صلى الله عليه وسلم في رمضان وقيل في ربيع وغير ذلك، فلو كانت تلك الليلة تحدث فيها عبادة لكانت معلومة مشهورة لا يقع فيها اختلاف، وعلى كل حال فإن اعتراض الونشريسي كان بشكل أكبر على الطريقة التي كان يتم فيها الاحتفال والتي وصفها قائلا: "تلك الليلة –ليلة المولد النبوي– تقام على طريقة الفقراء، وطريقة هؤلاء في هذه الأوقات شنيعة من شنع الدين، لأن عهدهم في الاجتماع إنما هو الغناء والشطح،... وهم قوم جهلة لا يحسن أحدهم أحكام ما يجب عليه في يومه وليلته"[2] وهذا ما دفعه باعتبار أن إقامة المولد على الوصف المعهود بين الناس بدعة محدثة يقتسمونها فيما بينهم، حتى أنه أفتى بعدم جواز إقامة الأحباس على الاحتفال بالمولد[3].

**2.الاحتفال بالأعياد الدينية**

**ا/ عيد الفطر:**

كان الاحتفال بعيد الفطر في مدينة تلمسان خلال العهد الزياني امتدادا لما سبق من احتفال المسلمين به والذي كان يستمر ثلاثة أيام في أغلب الأقطار الإسلامية، وبما

[1] المصدر نفسه، ج 2، ص ص 471–472.
[2] الونشريسي، المصدر السابق، ج 7، ص 100.
[3] المصدر نفسه، ج 7، ص 202.

أنه حدد يوم الفطر بانتهاء شهر رمضان ودخول أول يوم من شهر شوال[1]، وعندما يتم ثبوت رؤية الهلال بشهادة الشهود أمام قاضي الجماعة بتلمسان يعلن هذا الأخير للمسلمين عن حلول عيد الفطر فيبدأ الاحتفال بالعيد والذي كان قد تم الاستعداد له منذ أوائل شهر رمضان من تزيين للمساجد والزوايا بالشموع والقناديل وبمختلف أنواع البخور والعود والعنبر، وحتى النصارى واليهود كانوا يهدون المساجد بهذه المناسبة مختلف أنواع الطيب من بخور وعود وعنبر[2].

كان يحضر الاحتفال المسلمون من مختلف الأعمار والفئات الاجتماعية يتقدمهم السلطان الزياني في موكب حافل يشترك فيه الحرس والجيش بزيهم المميز والذي كانت العامة تخرج تجتمع لرؤيته منذ الصباح الباكر متزينين بالملابس الجديدة ثم يتجهون لأداء صلاة العيد، التي كانت تقام في الملعب الذي يقع خارج أسوار المدينة أمام باب القرمديين (نسبة لمن احترفوا صنع القرميد) وكان الجميع يحضرها بما فيهم السلطان.

وكان الناس يقومون في هذا اليوم بزيارة الأقارب والجيران والأصدقاء لمعايدتهم وكذلك زيارة المقابر وأضرحة الأولياء الصالحين كضريح أبي مدين بالعباد وغيره من الشيوخ المدفونين بالقرب من أبواب المدينة سواء كان في المقابر العامة أو الخاصة.

**ب/ عيد الأضحى:**

يحتفل أهل تلمسان كغيرهم من المسلمين بعيد الأضحى في العاشر من ذي الحجة من كل سنة، ولا تختلف مظاهره عن عيد الفطر إلا فيما يتعلق بالأضحية، فكان الناس يتزينون لأداء صلاة العيد في جو يسوده الخضوع والتكبير والتهليل، والفرحة تكسو وجوه

[1] شرع عيد الفطر لأول مرة في السنة الثانية من الهجرة وهي نفس السنة التي شرع فيها عيد الأضحى، القلقشندي: المصدر السابق، ج 2، ص 407.

[2] عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ج 1، ص 270.

الكبار والصغار[1]، وكان السلطان الزياني مع المتصدرين للصلاة خلف الإمام، وعند الانتهاء منها يضحي السلطان بأضحيته أمام الملأ أين يتم حملها في أرجاء المدينة ليراها الناس كي يبدؤوا بدورهم عملية النحر، ليغادر بعدها السلطان إلى قصره في موكبه الذي له أبهة خاصة وفي طريق فيمر بأزقة المدينة وساحتها في حفل بهيج على موكب مهيب يتقدمه بملابسه السلطانية الفاخرة ومحفوفا برجال الدولة من وزراء ومساعدين في أحسن زيهم وحراس يحملون الأعلام والعلامات والطبول وخلفهم أعداد من العامة خرجوا لمشاهدة موكب السلطان والتمتع برؤيته ورؤية الأضحية[2]. فيجلس بعدها في دار الملك لاستقبال المهنئين.

كما كان أهل تلمسان وسلاطينها يحتفلون بيوم عاشوراء صوما وزكاة ويقومون فيه بختان الأطفال اليتامى وكسوتهم وإطعامهم.

**3.الاحتفال بختم القرآن الكريم أو جزء منه:**

من مظاهر البهجة والفرح في تلمسان احتفال السلاطين بأبنائهم بمناسبة ختم القرآن أو جزء منه، كالسلطان أبو حمو الثاني أقام احتفالا كبيرا بالمشور، الأول سنة (770 هـ/1369 م) بمناسبة ختم ولده الناصر لسورة البقرة واحتفالا ثانيا بمناسبة الختمة نفسها من قبل ولده أبي زيان سنة (776 هـ/1375 م).

ووصفا للحفل الأول قال يحي ابن خلدون: "...**فأقام لذلك بمشوار داره الكريمة مدعى حافلا، وعرسا شامخا، اجتمعت له الأمم، عربها والعجم، وحشر فيها المغنون، على اختلاف أصنافهم وأطوارهم، فكان يوما مشهورا، وحفلا للفخر جامعا**"[3] فيما وصف الحفل وصفا للحفل الثاني قائلا: "وفي شهر رجب حذق ولد أبو زيان محمد سورة البقرة

[1] اسماعيل بركات، المرجع السابق، ص 90.

[2] مجهول: زهر البستان، المصدر السابق، ص 112.

[3] يحي ابن خلدون: المصدر السابق، تح: بوزياني الدراجي، ج 2، ص 421.

فأقام لسروره مدعى كبيرا وعرسا حافلا، جمعت في الإشراف والمشرفون، والرفيع والوضيع، ونودي في أرباب الغناء والعزف..."[1] وكان السلاطين يشاركون العامة بهذا الاحتفال فيقدم لهم الطعام الفاخر بمختلف أنواعه.

إضافة إلى ذلك كان هنا احتفالات دينية أخرى عهدها سكان تلمسان كالاحتفال بميلاد أطفالهم، بحيث كانوا يعدون العقيقة وهي وليمة يذبح فيها الخرفان، والتي يعد فيها نوع من الحلوى اشتهر بها أهل المغرب تسمى "العصيدة" ويطعم من ذلك الفقراء وأقارب المولود وأسرته، احتفالا بقص أول خصلة من شعر الطفل في اليوم السابع لولادته[2].

كما كانوا يحتفلون بختان الطفل، فيقومون بهذه المناسبة مأدبة يدعون إليها الأهل والأقارب ويشاركون بعضهم بعضا فيما يسمى بالصنيع وهي مجالس اللهو والطرب، التي كان يصحبها غالبا النفخ بالبوق والضرب على العود واحتساء المصطار(وهوعصير العنب قبل تخمره)[3].

- **المبحث الثاني: أهم أقطاب التدين في العهد الزياني**

تواجد بمدينة تلمسان خلال العهد الزياني أعداد هائلة من رجال الدين سواء كانوا من أهل المدينة أو من الوافدين إليها، ومن بين هؤلاء نذكر على سبيل المثال لا الحصر

- **إبراهيمالمطماطي (تـ 680 هـ/1281 م)**

وهو إبراهيم بن يخلف بن عبد السلام التنسيالمطماطي، ولد ونشأ بمدينة تنس وكان من المتصوفة الجامعين بين علمي الباطن والظاهر، زاهد ورع، ومن العلماء الصالحين، انتهت إليه رئاسة التدريس الفتوى في أقطار المغرب كلها ترد عليه أسئلة من تلمسان وبلاد إفريقيا كلها، وكان السلطان يغمراسن (تـ 633 هـ/1236 م) يخطبه للورود على تلمسان لكنه رفض ذلك، وكان يكتفي بزيارتها فقط يقيم بها أشهر ثم يعود تنس ولما

[1] المصدر نفسه، ص 550.

[2] كمال أبو مصطفى/ المرجع السابق، ص 1997، ص 45.

[3] الونشريسي: المصدر السابق، ج 6، ص ص 416-417.

شهدت هذه الأخيرة عدت اضطرابات رحل إلى تلمسان، أين طلب منه السلطان والفقهاء القيام بها[1] فقبل بذلك واستقر بالمدينة ودرس بها فانتفع بعلمه خلف لا يحصون.

ترك أبوإسحاق سمعة طيبة في كل الأقطار التي زارها، فكانت له هيبة عند الفقهاء والأمراء وحتى عند الملوك، فقد ذكر ابن مرزوق أن السلطان أبي يعقوب المريني قد قال عنه: "ما صفحني أحد قد إلا أحسست بارتعاش يديه، لهيبة السلطان إلا الفقيه أبو إسحاقالتنسي فعندما يصافحني تدركني منه مهابة فكانت يدي ترتعش منه هيبته"[2].

كما ذكره أبو عبد الله محمد العبدريالتنسي (ت 725 هـ/1325 م) في رحلته فقال عنه: "كان الشيخ أبي إسحاقإبراهيم بن يخلف التنسي وأخوه مشاركين في علم مع مروة تامة ودين متين، وأبو إسحاق ذو صلاح وخير، وسألني عن الغرب فذكرت له قلة رعية أهله في العلم فقال لي بلاد فيها مثل أبيإسحاقالتنسي ما خلت في علم"[3] توفي بتلمسان بعد عودته من الحج في حدود سنة ثمانين وستمائة ودفن بالعباد.

- **أبو عبد الله بن أبي بكر المرزوق (ت 681 هـ/1282 م)**

وهو الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر مرزوق، المعروف بابن الحاج التلمساني القيرواني الأصل مولده في حدود (629 هـ/1231 م) ومرزوق جده هو الذي استوطن تلمسان في أيام لمتونه فنشأ بنوه بها وهم أهل صلاح وعلم ودين ووجاهة اشتغلوا بالفلاحة[4].

وكان الفقيه أبو عبد الله من الصلحاء محدثا فقيها، ومتصوفا زاهدا عابدا مستجاب الدعاء، أخذ العلم عن العالم إسحاقإبراهيم بن يخلف التنسي، والعديد من يرهم من العلماء

[1] ابن مريم، المصدر السابق، تح: عبد القادر بوباية، ص ص 140-142. التنبكتي: المصدر السابق، ص ص 38-39.

[2] ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، المصدر السابق، ص 293.

[3] العبدري، المصدر السابق، ص 30.

[4] ابن مريم، المصدر السابق، تح: عبد القادر بوباية، ص 360.

المختصين بالعلم والدين من أهل تلمسان[1] توفي أوائل رجب سنة إحدى وثمانين وستمائة، ودفن إزاء الأمير أبي يحي يغمراسن بن زيان في دار الراحة من الجامع الأعظم وذلك تنفيذا لوصية الأمير بذلك تبركا منه بجواره[2].

- **أبو عبد الله بن خميس (تـ 708 هـ/1308 م)**

وهو محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد الحجري، يكنى أبا عبد الله ويعرف بابن خميس وهو الفقيه النبيل شاعر المائة السابعة، متصوف عارف، أصله من اليمن وولد بتلمسان سنة (564 هت/1169 م) وقيل سنة (650 هـ/1252 م) نشأ بها ودرس على يد علمائها، عرف عنه حبه للعزلة[3] التقى بالرحالة المغربي العبدري في تلمسان عام (688 هـ/1289 م) والذي قال عنه: "ما رأيت بمدينة تلمسان من ينتمي إلى العلم ولا من يتعلق منه بسبب سوى صاحبنا أبي عبد الله محمد بن عمر بن محمد بن محمد بن خميس وهو فتي السن وله عناية بالعلم مع قلة الراغب فيه والمعين، عليه حظ وافر في الأدب ذا طبع فاضل في قرض الشعر"[4].

يعتبر ابن الخميس التلمساني من أكبر الشعراء الملمين بالأدب واللغة وأصول الفقه والمذاهب والحكمة والمنطق والطب، اشتهر بشعره الذي يحتوي على روح الدعابة وعلى نزعة دينية متصوفة، وقد ولاه أبو سعيد يغمراسن ديوان الإنشاء وأمانة سره، لكنه لم يبق طويلا في هذا المنصب بسبب سوء المعاملة التي تلقاها في البلاط، لينتقل بعدها إلى سبتة أين قام بمدح حاكمها وتفرغ بالتدريس بها، ثم انتقل بعدها إلى غرناطة فقربه الوزير ابن الحكيم إلى مجلسه وكانت له فيه مدائح شعرية، وتوفي بها سنة ثمان وسبعمائة

---

[1] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ص ص 151-152.

[2] ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، المصدر السابق، ص 148.

[3] ابن مريم، المصدر السابق، تح: عبد القادر بوباية، ص ص 358-359، يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ص ص 145-149.

[4] العبدري، المصدر السابق، ص 31.

مقتولاوذكر المقري أن القاتل هلك قبل أن يكمل سنة من حيث قتله، وذلك من شدة الفالج الذي أصابه فقد كان يستغيث "ابن الخميس يطلبني ابن الخميس يضربني، ابن الخميس يقتلني" وبقي كذلك حتى قضي نحبه على تلك الحال[1].

- **محمد المقري (759 هـ/1359 م)**

وهو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحي بن عبد الرحمان القرشي التلمسانيالمكنىبالمقرى –بفتح الميم وتشديد القاف المفتوحة– ولد ونشا بتلمسان وزاول تعليمه فيها، وهو باحث وأديب وقاضي ويعد من أكبر علماء المذهب المالكي وفي وقته[2] تعلم بتونس والمغرب ثم رحل إلى المشرق للحج، فأخذ العلم والمعرفة عن علماء مصر ومكة والمدينة ودمشق وبيت المقدس، ليعود إلى تلمسان ويبدأ التعليم بها، لكنه يغادرها من جديد إلى فاس، أين ولي قاضيا هناك، وفيها توفي سنة تسعة وخمسون وسبعمائة، وقد تم نقل رفاته إلى تلمسان، له عدة مصنفات في الفقه والتصوف منها: "كتاب القواعد" والذي اشتمل على ألف ومائتي قاعدة وكتاب "الرقائق والحقائق في التصوف" "إقامة المريد"، "النظائر"، و"شرح التسهيل" وغيرها من العديد من المؤلفات[3].

- **محمد السنوسي (895 هـ/1490 م)**

وهو محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب أبو عبد الله السنوسي، ويلقب أيضا بالحسني نسبة إلى الحسن بن علي بن أبي طالب –رضي الله عنها– من قبل أمه، نشأ بتلمسان وأخذ العلم من شيوخ المدينة من أمثال الحسن أبركان ونصر الزواوي وإبراهيم

---

[1] المقري التلمساني، **أزهار الرياض في أخبار عياض**، تح: مصطفى السقا وابراهيم الأبيار وعبد الحفيظ السلي، مطبعة فضالة للنشر، المغرب، 1978، ج 2، ص 304.

[2] ابن مريم، المصدر السابق، ص ص 267–281، يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ص 158، التنبكتي، المصدر السابق، ص ص 420–427.

[3] ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، المصدر السابق، ص 193، عادل نويهض، **معجم أعلام الجزائر من صدر الاسلامحتى العصر الحاضر**، ط 2، مؤسسة نويهض للنشر، بيروت، لبنان، 1980، ص 313.

التازي وغيرهم من أئمة وعلماء عصره، ليصبح من أكبر علماء تلمسان وزهادها في عصره لاسيما في علم التوحيد[1] وصفه ابن مريم قائلا: "له لطائف الأحوال وصحائح الأقوال والأفعال، باطنه حقائق التوحيد وظاهره زهد وتجريد وكلامه هداية لكل مريد، كثير الخوف طويل الحزن لصدره أزير من شدة خوفه، مستغرق في الذكر حتى لا يشعر لمن معه مع تواضع وحسن خلق ورقة قلب،...وما رأيت أحس خلقا ولا أوسع صدرا ولا أكرم نفسا وأعطف قلبا وأحفظ عهدا مثله يوقر الكبير ويقف مع الصغير ويتواضع للضعفاء".

صفاته هذه جعلته ينال القبول والهبة والإجلال في القلوب ما لم ينله غيره من علماء عصره وزهاده، فقد كان أروع أهل زمانه لذا كان الناس يرتحلون إليه ويتبركون به وكان لا يقبل عطية ولا يحضر الولائم حتى ولو كانت من السلطان، ومن عاداته ان ينام أول الليل ثم يقوم يحيه كله إلى الفجر، ولم يتركها إلا لما أحس بشدة المرض عليه فانقطع عن المسجد ولازم فراشه عشرة أيام حتى مات يوم الأحد 18 جمادى الأخر عام خمسة وتسعين وثمانمائة للهجرة بتلمسان عن عمر يناهز ثلاث وستين سنة.

وكان له مؤلفات عدة منها: "عقيدة أهل التوحيد"[2] و"شرح صحيح البخاري" و"شرح أسماء الله الحسنى" في كراسين وأيضا "العقد الفريد في حل مشكلات التوحيد"، و"شرح أبيات الإمام الألبيري في التصوف"[3] وغيرها من العديد من المؤلفات.

**المبحث الثالث: مظاهر تشجيع الدولة الزيانية للتدين الرسمي**

تتجلى مظاهر اهتمام السلاطين بالمؤسسات الدينية بصفة عامة في تشييدها لها أو في إعادة ترميم القديم منها وكذا في الإنفاق على مختلف احتياجاتها والسهر على أدائها لوظائفها بشكل جيد، ومن بين هذه المؤسسات نذكر:

[1] ابن مريم، المصدر السابق، ص ص 374-389.

[2] التنبكتي، المصدر السابق، ص ص 563-572.

[3] عادل نويهض، المرجع السابق، ص ص 180-181.

**أ- المساجد:**

إن الحديث عن أهمية المسجد في المدينة الإسلامية من المسلمات بما استطاع أن يجمعه من مهام دينية واجتماعية وثقافية وسياسية كونه مقرا للقاء المؤمن بربه وإقامة ثاني ركن من شريعته "الصلاة"[1] والذي أصبغ على نفسه وعلى كل الأنشطة الممارسة به بعدا دينيا خالصا، فالمساجد كانت تعتبر شبه كليات تدرس فيها العلوم الدينية كالفقه وأصوله والحديث ومصطلحاته والقرآن وتفسيره، وكانت تنظم فيه المناظرات العلمية والمحاورات الفقهية[2]. ودروس الوعظ والإرشاد والإفتاء، وعلى هذا الأساس أولت السلطة الزيانية منذ قيامها عناية خاصة بالمسجد متبعة في ذلك المسار الذي انتهجته معظم الدول الإسلامية خلال فترة الوسطية.

وإذا كان اهتمام السلطان بالعمران من سمات الملك تخليدا لآثاره فإن اهتمامه بالمنشآت الدينية وعلى رأسها المساجد يأخذ عدة أبعاد فهو من سمات شخصيته الإسلامية، ومن الركائز الأساسية في المدينة، إضافة إلى كونه عاملا في تزكية شخص السلطان، وظهوره بمظهر التقوى والورع مما يشحن مشاعر رعيته بصورة طيبة عنه.

إلى جانب ذلك فإن المسجد يشكل رافدا هاما في اتصال السلطة بالفقهاء، فالإمامة به عادة ما كانت لهم على مذاهبهم المختلفة، أو على أقل تقدير لمن له فقه بأحكام الصلاة والطهارة[3]، إضافة إلى من جمع من فقهاء تلمسان بين الإمامة والخطابة أو

---

[1] صابرة خطيف: **فقهاء تلمسان والسلطة الزيانية**، ط 1، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 140.

[2] خالد بلعربي، المرجع السابق، ص 146.

[3] مالك بن أنس: **المدونة الكبرى**، دار صادر، بيروت، لبنان، د ت، ج 1، ص ص 83-84. الماوردي: **الأحكام السلطانية والولايات الدينية**، ط 3، مكتبة البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1973، ص 102.

القضاء والخطابة[1]، ويكفي أن بعض المساجد في هذه الفترة قد أنشأتها السلطة الزيانية خصيصا لبعض الفقهاء أو حملت أسماءهم.

ونتيجة لذلك كله فقد انتشرت المساجد عبر أحياء المدينة وضواحيها بصورة كبيرة ويعود هذا الانتشار الملفت للانتباه إلى اهتمام سلاطين الدولة ببناء المساجد والعناية بها وإيقافهم الكثير من الأحباس عليها وتجديد ما اندثر منها، فجميع النوازل تتفق على ضرورة تشيد المساجد واستصلاحها كلما احتاجت إلى ذلك، وإن لم يكن لها من أوقافها ما تستصلح به يسلف لها من وفرة مساجد أخرى، وأنها لا تهدم ولا تنقل إلى مكان إلا عند أقصى الضرورة كأن ينقطع العمران من حولها، وكما أن العقارات المحبسة على المسجد لا تباع ولا تعوض إلا إذا انقطعت منفعتها أصلا[2].

ويعود الاهتمام الأول بالمساجد إلى مؤسس الدولة يغمراسن بن زيان (603-633 هـ/1206-1235 م) الذي بنى الصومعتين بالجامعين الأعظمين أغاديروتاجرارت[3]، وهو النهج الذي تلاه جل السلاطين من بعده، بحيث تذكر المصادر أن السلطان محمد بن موسى بن زيان كان قد حبس عدة أحباس على مدرسة ومسجد بمدينة تلمسان سنة (796 هـ/1393 م) والتي كانت تذهب فائدتها لإصلاح الجامع ودفع رواتب الإمام والمؤذن والناظر[4].

ويمكن أن نقسم المساجد الموجودة في تلمسان من حيث القائمين عليها إلى:

[1] يحي ابن خلدون: المصدر السابق، ج 1، ص ص 123-166.

[2] محمد حجي: **نظرات في النوازل الفقهية**، ط 1، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة، الرباط، 1999، ص 94.

[3] التنسي: المصدر السابق، ص ص 125-126.

[4] الونشريسي: المصدر السابق، ج 7، ص 363.

• **المساجد العامة:** وهي المساجد التي يبنيها أهل الدروب أو القبائل في محل إقامتهم وترجع في إدارتها إلى ناظرهم ويصادق القاضي على من قدموه إماما إذا طابق اختيارهم أحكام الشريعة[1].

• **المساجد السلطانية:** وهي المساجد المقامة من قبل السلطة، والتي ترجع في إدارتها للخليفة أو من ينوب عنه من وزير أو قاض[2].

ومن بين أهم المساجد نذكر:

*** مسجد أبي الحسن:**

ويعود تاريخ تأسيسه إلى سنة (696 هـ/1296 م) على يد السلطان الزياني أبي سعد عثمان بن يغمراسن تخليدا لذكرى أخيه الراحل الأمير أبو عامر إبراهيم بن يغمراسن[3]، وسمي المسجد بهذا الاسم نسبة إلى أحد مشاهير علماء تلمسان وهو الحسن بن يخلف التنسي، ويعد من أجمل وأبسط المساجد الزيانية في تلمسان[4].

*** مسجد أولاد الإمام:**

يقع وسط المدينة ويمتاز ببساطة بنائه وخلوه من الزخرفة، ولقد كان أقل حجما من المسجد السابق الذكر، شيد هذا المسجد حوالي (710 هـ/1311 م) بأمر من السلطان أبي حمو موسى (707-718 هـ/1307-1318 م)، شكرا منه وعرفانا لله تعالى على انقضاء المحنة التي ألمت بتلمسان من قبل المرينيين وانجلاء الحصار عنها، وإكراما منه للفقيهين الأخوين أبي زيد عبد الرحمان ( ت741 هـ) وأبي موسى عيسى (749 هـ) ابني

[1] صابرة الونشريسي، المصدر السابق، ص 141.

[2] المارودي: المصدر السابق، ص 100. ابن خلدون: المقدمة، المرجع السابق، ص 196.

[3] يحي ابن خلدون: المصدر السابق، ج 1، ص ص 207-209.

[4] شاوش محمد بن رمضان: المرجع السابق، ص 226. بوعياد محمود: المرجع السابق، ص 81.

الإمام عبد الله الزركشي وكلاهما مدفونان برحاب هذا المسجد التابع للمدرسة القديمة وملحقا لها وللدارين المعدين لسكانهما[1].

*** مسجد إبراهيم المصمودي:**

قام بتأسيسه السلطان أبو حمو موسى الثاني سنة (765 هـ/1374 م) والذي اعتبر أن بناء دور العبادة والعلم من وسائل صلاح ملكه وقد حث ولي عهده على السير في هذا الطريق مقدما له في ذلك أكثر من مثال، وترجع تسميته هذا المسجد إلى الشيخ إبراهيم المصمودي[2] لأنه كان معروفا بالورع والصلاح ونظرا لإمامته أو مزاولته للتدريس والصلاة به ولاسيما وأنه جمع في شخصه بين الرئاسة في العلم والمكانة الصوفية بكل ما تحمله من زهد وكرامات وعمق وتدين[3].

**ب- المدارس:**

يعود ظهور المدارس في مدينة تلمسان إلى مطلع القرن (8 هـ- 14 م) حيث كانت تبنى خارج المساجد والراجح أن المدارس التلمسانية كانت مدارس علمية رسمية تابعة للدولة، أشرف السلاطين إشرافا مباشرا عليها وكان معظم مدرسيها متبعين للمذهب المالكي[4]، وكان سلاطين الدولة كغيرهم من ملوك وسلاطين الدول الإسلامية يهدفون من وراء إنشائهم للمدارس إلى نشر التعلم والثقافة من جهة، وتوجيه الرعية مع ما يتماشى ومصالح الدولة من جهة أخرى[5].

---

[1] يحي ابن خلدون: المصدر السابق، ج 1، ص 30. ابن مرزوق: **المسند الصحيح**، المصدر السابق، ص 390.

[2] لترجمته ينظر، التنبكتي: **المصدر السابق**، ص ص 54-56. ابن مريم: المصدر السابق، ص ص 64-66.

[3] شاوش محمد رمضان: **المرجع السابق**، ص 252.

[4] قريان عبد الجليل: **تاريخ المذهب المالكي في المغرب الأوسط إلى نهاية العهد الزياني**، مجلة المحراب، ع1، قسنطينة، الجزائر، مارس 2007، ص 53.

[5] التنسي: المصدر السابق، ص 169.

ومن بين المدارس التي اشتهرت بها مدينة تلمسان نذكر:

* **مدرسة أولاد الإمام أو المدرسة القديمة:** وهي أول مدرسة تربوية تقام في حاضرة الدولة الزيانية، أمر ببناء هذه المدرسة السلطان أبو حمو موسى الأول (718 هـ/1318 م) وكان ذلك سنة (710 هـ/1310 م) كما عين للتدريس بها من أهم العلماء بعصره وهما ابني الإمام التلمسانيين العالمين المشهورين شرقا وغربا[1]. ولقد لعبت هذه المدرسة دورا كبيرا في المجال الفكري ونشر الثقافة الإسلامية.

* **المدرسة التاشفينية:** شيد هذه المدرسة أبو تاشفين بن أبي حمو موسى الأول بين سنتي (717-728 هـ/1318-1328 م)[2] تكريما للفقيه أبي موسى عمران المشداليوتقع هذه المدرسة بجانب المسجد الأعظم وعند انتهاء السلطان من بناء هذه المدرسة احتفل بتدشينها فأقام احتفالا كبيرا حضرته مشيخة تلمسان.

* **المدرسة اليعقوبية:** والتي شيدها السلطان أبو حمو موسى الثاني سنة (765 هـ/1363 م) وسماها اليعقوبية تخليدا لوالده أبي يعقوب، وتقع هذه المدرسة شمال جامع سيدي إبراهيم المصمودي[3]، ولقد جعل أبو حمو موسى الثاني هذه المدرسة ملحقة بزاوية ومقبرة، خصيصا لرفات ملوك تلمسان.

إلى جانب هذه المدارس يوجد العديد من المدارس الأخرى التي كانت من إنشاء المرينيين كمدرسة أبي مدين شعيب بالعباد ومدرسة الحلوي[4].

إضافة إلى تشييدهم للمدارس، كان سلاطين بنو زيان يعنون ببناء منازل خاصة بالمدرسين والطلاب تكون بالقرب منها وتخصيص الأوقاف لذلك[5]، وهو ما فعله السلطان

---

[1] يحي ابن خلدون: المصدر السابق، ج 1، ص 130، فيلالي عبد العزيز: المرجع السابق، ج 1، ص 142.

[2] بوعياد محمود: المرجع السابق، ص 82. رمضان شاوش: المرجع السابق، ص 397.

[3] المرجع نفسه، ص 399.

[4] يحي ابن خلدون: المصدر السابق، ج 2، ص 102.

[5] الونشريسي: المصدر السابق، ج 7، ص 248.

يغمراسن للعالم التنسي سنة (666 هـ/1267 م) حيث قام بإقطاعات بنواحي تلمسان حتى يصرف على نفسه، ونفس الأمر قام به السلطان أبو حمو موسى الثاني بترتيبه الجرايات والأوقاف على المدرسة التي أقامها في تلمسان لصالح الطلاب والمدرسين[1].

كما كان بنو زيان يبحثون عن المدرسين الأكفاء ويحاولون استقطابهم للتدريس داخل تلمسان فقد اهتم السلطان يغمراسن بذلك عندما طلب من العالم أبي إسحاق بن يخلف التنسي (680 هـ/1681 م) القدوم والتدريس بالجامع الأعظم بالمدينة[2]، وقد كان يذهب بنفسه لحضور دروسه في الجامع الأعظم مما يوضح اهتمامه بالعلم والعلماء ونفس الشيء بالنسبة للسلطان أبي حمو موسى الأول عندما قام بتعيين ولدي الإمام للتدريس بمدرسة أولاد الإمام وذلك اعترافا بفضلهما ومكانتهما في تلمسان، كما قام السلطان أبو حمو موسى الثاني بنفس الأمر عند محاولته استقدام العلامة عبد الرحمان بن خلدون، من خلال إرسال رسالة له قال فيها: "الحمد الله على ما أنعم والشكر على ما وهب ليعلم الفقيه المكرم أبو زيد عبد الرحمان بن خلدون حفظه الله على أنك تصل إلى مقامنا الكريم لما اختصصتم به من الرتبة المنيعة والمنزلة الرفيعة، وهو حكم خلافتنا والانتظام في سلك أوليائنا أعلمناكم بذلك"[3].

ولم يقتصر تقدير سلاطين تلمسان للعلماء في حياتهم، بل تعداه إلى الموت حيث كانوا يسمحون بدفن العلماء في المقابر السلطانية مثلما أوصى السلطان يغمراسن أن يدفن قرب العالم التنسي[4] ومن هنا نجد أن معظم هذه المدارس كانت قد أنشأت تكريما وتقديرا للفقهاء، وذلك مما أدى إلى تفعيل النشاط العلمي بحضارة بني زيان، نظرا لدورهم

[1] التنسي: المصدر السابق، ص ص 126-216.

[2] شقدان: المرجع السابق، ص 225.

[3] ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج 7، ص 420.

[4] شقدان: المرجع السابق، ص ص 226-227.

الفعال في مجال التدريس ولإنجازاتهم العلمية في مجال الدين في إطار المذهب المالكي فلقد تركوا بتلمسان خلقا كثيرا ينتحلون العلم كبيرا وصغيرا.

ولقد أولى أولي الأمر بمدينة تلمسان عناية خاصة بالمدارس، حيث كانوا يحرزون الأرزاق والمنح والعطايا للأساتذة والطلبة والموظفين بها، فكانت بذلك تجذب الطلبة بكثرة نتيجة إغراءات المنح والجرايات التي كانت تقدم لهم من قبل الدولة والأوقاف فيقبل بهم على من يعنيه أهل الريّاسة للإجراء والإقراء منهم[1]، وكانوا يعهدون بالتدريس فيها لأشهر علماء العصر، وساعد نظام الأحباس على إيجاد مصدر تمويل هام للمدارس التعليمية التي توقف عليها من قبل السلاطين[2] وميسوري الحال حيث يتم صرفها على الطلبة المقيمين في المدرسة ودفع أجور المدرسين وكذا أجور القائمين عليها كما يتم صيانتها وترميم بنائها بهذه العائدات[3]، كما أن هذه المدارس كانت تخضع لنظام الحسبة حيث يقوم المحتسب بزيارتها من حين لآخر ليتأكد من سلامة بنائها وحضور بعض الدروس والاطلاع على مناهج الدراسة ككتبها وهذا بهدف منع أدعياء العلم من التصدي لتعليم الطلبة[4].

وبذلك فقد أعطى الزيانيون أمثلة واضحة على عناية الدولة بقطاع الأحباس وتسخيرها لصالح المدارس فما من مدرسة أنشئت إلا وحبست عليها الأحباس وحدد لها مداخيل الصرف ودونت شروط صرفها والمبالغ المحددة لها الخاصة بالإصلاح والعناية بالمؤسسة نفسها من جميع الأوجه حتى تؤدي رسالتها على أحسن ما يرام[5] فقد ذكر

---

[1] عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ج 2، ص 382.

[2] التنسي: المصدر السابق، ص 248.

[3] الونشريسي: المصدر السابق، ج 7، ص ص 262-266.

[4] بوشقيف محمد: **تطور العلوم ببلاد المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع هجري (14-15 م)**، رسالة ماجستير، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2010-2011، ص 55.

[5] فريد قموح، **الدور المكنونة في نوازل مازونة**لأبي زكريا يحي بن موسى بن عيسى، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2010-2011، ص 88...

الونشريسي أن أحد سلاطين بني زيان وقف العديد من الأحباس على مدرسة ومسجد بمدينة تلمسان وكان مايتوفر منربح تلك الأحباس يقوم الناظر بصرفه في سبيل البر والخير[1].

ونرى من هذا أن إشراف الدولة على هذه المدارس واهتمام السلاطين بها باعتبارها مؤسسة دينية وتعليمية في نفس الوقت، جعل الدارسين بها يتقيدون بالاتجاه العام الرسمي لها، والذي في أغلب الأحيان لا يمكنهم الحياد عنه وذلك بفضل ما تقدمه لهم من تسهيلات.

**ج- الزوايا:**

إن الزوايا تعتبر من معاهد العلم، والزوايا جمع زاوية، وهي مأخوذة من الفعل انزوى، ينزوي بمعنى اتخذ ركنا من أركان المسجد للاعتكاف والتعبد، وسميت بهذا الاسم لأن الذين فكروا في إنشائها أول مرة من الصوفية الذين اختاروا الانزواء والابتعاد عن صخب العمران وضجيجه طلبا للهدوء والسكينة، ثم تطورت الزاوية فيما بعد إلى أبنية صغيرة منفصلة من جهات مختلفة من المدينة في شكل دور أو مساجد صغيرة[2].

وتطلق في بلاد المغرب على مسجد خاص لطائفة من الصوفية أو ضريح لأحد الأولياء والتي لم تظهر فيه إلا بعد القرن (5 هـ/10 م) وكانت تعرف في البداية بدار الكرامة[3]، وأخذ مفهومها يتطور بشكل محسوس إلى أن حلت محل الرباط[4]، ولقد انتشرت

---

[1] الونشريسي: المصدر السابق، ج 7، ص 237.

[2] نسيب محمد: زوايا العلم القرآني بالجزائر، دار الفكر، الجزائر، د ت، ص 27.

[3] محمد حجي: **الزاوية معلمة المغرب**، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطالع سلا، الرباط، 2001، الجزء 14، ص 4602.

[4] **الرباط:** يربِطه يربُطه: شده، فهو مربوط وربيط والرباط: ما ربط به جمع: ربط، والفؤاد، والمواظبة على الأمر، وملازمة ثغر العدو، كالمرابطة، والخيل، أو الخمس منها فما فوقها، وواحد الرباطات المبنية، أو المرابطة: أن يربط كل من الفريقين خيولهم في ثغره، وكل معد لصاحبه، فسمي المقام في الثغر رباطا، ومنه قوله تعالى: {وصابروا ورابطوا} سورة

الزوايا في بلاد المغرب الأوسط في النصف الثاني من القرن (7 هـ/13 م) نتيجة انتشار التصوف وتعدد اتجاهاته، حيث أصبحت المكان الذي يقصده الطلبة والمريدون لحفظ القرآن ومختلف العلوم وذلك بأسلوب بسيط في متناول الجميع.

أما من وظائفها التي تقوم بها فهي عديدة نذكر منها:

* تفقيه الناس في أمور دينهم من خلال دروس الوعظ والإرشاد حيث تدعوا إلى الالتزام بالفضائل وتجنب الرذائل والقدوة الحسنة التي وجدها الناس في شيوخها.
* كما كانت الزاوية تمثل مدرسة قرآنية لتحفيظ الأطفال القرآن الكريم ومبادئ الدين الإسلامي واللغة العربية وتنفيذ الأحكام والمبادئ الشرعية[1]، كما تمثل المكان الذي كان يؤدي الصوفي فيها صلواته الخمس ويعتكف فيها للعبادة وبذلك أصبحت الزوايا من أهم المؤسسات الدينية التي ساهمت في تعميم ونشر الدين لدى شرائح الدنيا في المجتمع العبد الوادي.

وقد أنشأ هذه الزوايا إما السلاطين أو أهل الخير أو رجال الطرق الصوفية من أموالهم الخاصة[2] مثلما فعل السلطان أبو العباس أحمد العاقل الزياني الذي بنى زاوية الولي الزاهد الحسن بن مخلوف أبركان[3]، وهناك زوايا من اشترك في بنائها جماعة أو أفراد قبيلة واحدة، ومن أجل تغطية نفقاتها كانت توقف عليها الأوقاف.

وكانت إدارة ورعاية أوقاف الزاوية توكل لقيم ومساعدين له، إضافة إلى أن المحسنين على الزاوية يحددون في عقودهم المواضيع التي تنفق فيها عوائد أوقافهم

---

آل عمران الآية 200، محمد بن يعقوب الفيروز أيادي: **القاموس المحيط**، راجعه محمد الشامي وزكرياء جابر أحمد، دار الحديث القاهرة، 2008، ص 610.

[1] خالد بلعربي، **الدولة الزيانية في عهد يغمراسن دراسة تاريخية حضارية (633-681 هـ/1235-1282 م)**، ط 1، اللامعية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 315.

[2] ابن قنفذ: المصدر السابق، ص 117.

[3] التنسي: المصدر السابق، ص 248.

وكيفية إدارتها، هذا ولم تكن الزاوية ملكا للأشخاص ولا للدولة، بل كانت أماكن تعليمية واجتماعية عامة، متاحة لكل من يقصدها، ولهذا يقول عنها ابن مرزوق: "إن الزوايا عندنا في المغرب هي المواضع المعدة لرفاق الواردين، وإطعام المحتاج من القاصدين"[1] فالزاوية تستمد استقلاليتها من أوقافها.

ومن الزوايا التي لها أهمية في تلمسان خلال العهد الزياني والتي اشتهرت بها نذكر:

* **زاوية الأمير أبي يعقوب:** والتي أنشأها أبي حمو موسى الثاني على ضريح والده أبي يعقوب بجانب المدرسة اليعقوبية[2].

* **زاوية سيدي ألي الحسن:** والتي قام بتشييدها السلطان أبو سعد عثمان الزياني[3].

* **زاوية أبي عبد الله:** نسبة إلي عبد الله، أحد كبار الأعلام المشاهير من رجال التصوف في تلمسان[4] وهذه الزاوية كانت تخضع لنظام دقيق حيث يلزم على الطلاب والمريدين أن يتحلوا بالانضباط والطاعة وأنيتقيدوا بتقاليد الزاوية في نظام الدراسة والملبس والأكل وأن يتحلوا بالسلوك الإسلامي السني القويم ولا يتخذون في جميع أمورهم الدنيوية من سلوكيات ومعاملات إلا وفق طريق السلف الصالح[5].

* **زاوية أبي عمر التميمي:** سميت هذه الزاوية نسبة إلى أبي عمر التميمي، تقع بطريق قرية العباد بتلمسان[6].

* إضافة إلى زاوية سيدي أبي مدين شعيب بالعباد، وزاوية الإمام محمد السنوسيبتلمسان وهي من الزوايا التي شيدت في القرن (9 هـ/13 م)[1].

---

[1] ابن مرزوق: المسند الصحيح، مصدر سابق، ص ص 411-413.

[2] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص 127. التنسي: المصدر السابق، ص 179.

[3] محمد بوشقيف: المرجع السابق، ص 63.

[4] ابن مرزوق، **المسند الصحيح**، المصدر السابق، ص 42.

[5] عبد العزيز الفيلالي: المرجع السابق، ج 2، ص 391.

[6] طاهر بوناني: **التصوف في الجزائر**، المرجع السابق، ص 226.

وما يمكن قوله عن هذه المؤسسات التي كانت منتشرة بتلمسان أنه كان لها دور كبير في تنمية الحركة الدينية والعلمية بالمدينة، كما أنها ساهمت إسهاما كبيرا في توحيد الفكر الإسلامي والمذهبي في حاضرة الدولة الزيانية، وهذا من خلال نوعية العلوم التي تقدمها هذه المدارس والتي زادت من أهمية هذه المدينة فكانت بذلك منارة من أهم منارات العلم في ذلك الوقت، وأصبحت تضيء رحاب المغرب الأوسط بنور المعرفة وتساهم في تقدم الحضارة المغربية الإسلامية.

[1]التنسي: المصدر السابق، ص 256. يحي ابن خلدون: المصدر السابق، ج 1، ص 203.

# خاتمة

**خاتمة:**

لقد أصبحت ظاهرة التدين قضية ملازمة لوجود الإنسان وحفظها مرتبط بتقويم السلوك الاجتماعي للفرد وباهتمام ودعم الطبقة الرسمية بمختلف مظاهر الدين، وذلك ببسط أصول الدين على الفعاليات المختلفة للمجتمع التي تتجلى في سلوك الفرد وتعاملاته مع مختلف جوانب الحياة، وبالاعتماد عليه في بيان حلول مشكلات وقضايا الواقع التي يتعرض لها الفرد في شتى مجالات الحياة وذلك بالتقيد بالحكم الشرعي فيها.

وبما أن مدينة تلمسان كانت قد شهدت ظواهر دينية متعلقة بالمتغيرات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وبناء على تتبع هذه المتغيرات توصلنا إلى جملة من النتائج والتي يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

- تعدد الأبعاد والأوضاع المختلفة التي سمحت بخلق أشكال محددة للتدين بتلمسان وطريقة تفاعل المجتمع معها أدت إلى تناميها بصورة واضحة لتشكل بذلك المظهر العام للتدين بالمدينة في تلك الفترة.

- عجز حكام وقضاة الدولة الزيانية عن محاربة بعض الآفات الاجتماعية التي تفشت داخل المجتمع سمح بظهور شريحة من الزهاد والمتصوفة داخل المدينة والتي حملت على عاتقها مكافحة ومحاربة هاته الآفات، مما مكنها من احتلال مكانة مهمة في المجتمع.

– إن الدور الذي لعبه رجال التصوف في الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية ساهم بشكل كبير في بروز ظاهرة التصوف وانتشارها مما جعلها تصبح المرجعية الأساسية في المدينة، فكانت تأمن كل الشرائح على تفاوتها الطبقي، وهذا ما جعله يعرف تطورا كبيرا إلى درجة أصبحت فيها تلمسان من أكبر مراكز التصوف في العالم الإسلامي.

– إن ظاهرة الاعتقاد بالأولياء والتبرك بهم ظاهرة سادت أغلب الشرائح بالمجتمع التلمساني وعلى اختلاف أعراقهم وطبقاتهم الاجتماعية، مما جعله مجتمعا متماسك يسوده التكافل والتعاون حيث أصبحت جزءا وعنصرا هاما من تفكيرهم لما كانت تعكسه من سلوك ديني وأخلاقي وذلك لارتباطها بالدين والتي كانت مستمدة منه.

– انتشار المؤسسات الدينية التي كان لها دور في تنمية الحركة الدينية والعلمية بالمدينة حيث ساهمت إسهاما كبيرا في بلورة الوعي الديني باعتبارها فضاءات دينية تعليمية تجمع كل أفراد المجتمع لتلقينهم معالم الدين والعلم في آن واحد، إضافة إلى اهتمام سلاطين بني زيان بالعلوم الدينية نظرا لتناولها جميع المسائل الدينية والاجتماعية والاقتصادية التي تدرس واقع المجتمع وتنظم حياة المسلمين، مما جعلها تزدهر وترتقي لتصبح تلمسان من أهم مراكز العلم في المغرب الإسلامي، وهو ما تثبته الأعداد الكبيرة من العلماء والفقهاء الذين ذاع صيتهم في جميع الأقطار الإسلامية لما كان لهم من معرفة دينية وعلمية واسعة سمحت بتبوئهم مكانة مهمة بين الناس.

– اهتمامهم بممارسة الشعائر الدينية لإظهار مدى تدينهم، ولإعلاء مكانتهم بين الرعية إضافة إلى الدور الذي لعبه السلاطين في تحقيق التماسك الداخلي للمجتمع وذلك بإشراكهم العامة في احتفالاتهم بمختلف المناسبات الدينية.

– مدى تأثر السلطة برجال الدين الذين حملوا ودافعوا عن العقيدة الدينية في توحيد السلوك والاتجاهات، نظرا للأعمال الجليلة التي قام بها كل من الفقهاء والمتصوفة في تسهيل حياة العامة من المجتمع، يظهر أن هؤلاء لم يكن تأثيرهم منحصرا على الأوساط الشعبية فقط بل وامتد إلى الطبقة الخاصة، لتحتل بذلك هذه الفئة مكانة كبيرة داخل المجتمع التلمساني.

# البيبليوغرافيا :

## البيبليوغرافيا :


- **القرآن الكريم برواية ورش.**
- **المصادر المطبوعة :**
- أحمد بن تيمية، **مجموع الفتاوى**، تح، عبد الرحمان بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، المملكة السعودية، 1416 هـ/1995 م، الجزء 11.
- ابن الأحمر محمد بن يوسف، **تاريخ الدولة الزيانيةبتلمسان**، تح: هاني سلامة، ط 1، مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع، بور سعيد، مصر، 2001.
- البرزليأبو القاسم بن احمد،**فتاوىالبرزلي، جامع مسائل الأحكام بما نزل من القضايا بالمفتين والحكام**، ت ح: محمد الحبيب الهيلة، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2002.
- التنسي عبد الله محمد بن عبد الله، **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدر والعقيان في شرف بني زيان**، تح: محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.
- الجرجاني عبد القاهر،**معجم التعريفات**، تح: محمد الصديق المنشاوي، دار الفضيلة لنشر وتوزيع، القاهرة، د ت.
- ابن خلدون عبد الرحمن/ ت808هـ، **كتاب العبرديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، تح: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2000، ج 7/.
- ابن رجبالحنبلي،**جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم**، تح ماهر ياسين الفحل، ط 1، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، 2008.
- ابن رشد أبو الوليد،**فتاوى ابن رشد**، نح: المختار بن الطاهر التليلي، ط 1، الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1987.

- الرعيني،**برنامج شيوخ ابن الفخار الرعيني**، تح: إبراهيم شبوح، دمشق، سوريا، 1959.
- الزركشي محمد بن أحمد بن اللؤلؤ، **تاريخ الدولتين الموحديةوالحفصية**، تح: محمد ماضور، ط 2، المكتبة العتيقة، تونس، 1966.
- ابن أبي زرع الفاسي، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار وملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، تح: عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1973.
- العبدري أبو عبد الله، **الرحلة المغربية**، تق، سعيد بوفلاقة، ط 1، مؤسسة بونة للبحوث والدراسات، الجزائر، 2007.
- أبو فارس عبد العزيز محمد القيرواني، **الفتوى المالكية في الأفعال الصوفية**، تح، أبو حمد علي الكندي المرر، مؤسسة بينونة للنشر والتوزيع، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2009.
- ابن فرحونإبراهيم بن علي بن محمد، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، تح: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، شارع الجمهورية، القاهرة، د ت، مقدمة الكتاب، ص (أ–ب).
- ابن القنفذالقسنطيني،**أنس الفقير وعز الحقير**، نشره وصححه محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1965 م.
- المانويأبو العباس أحمد بن محمد بن زكري التلمساني ت899هـ، **محصل المقاصد مما به تعتبر العقائد**، تح: عبد الرزاق دحمون، مركز الإمام الثعالبي للدراسات ونشر التراث، الجزائر، 2001.
- الماوردي أبو الحسن علي،**الأحكام السلطانية والولايات الدينية**، ط 3، مكتبة البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1973.
- مالك بن أنس،**المدونة الكبرى**، دار صادر، بيروت، لبنان، د ت، ج 1.

- مجهول،**زهر البستان**، تح وتق: بوزيان الدراجي، مؤسسة بوزياني للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ج 2.
- ابن مرزوقالتلمساني،**المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**، تح: ماريا خيسوس فيغيرا، تق: محمود بوعياد، الشركة الوطنية، الجزائر، 1981.
- ابن مرزوق شمس الدين، **المناقب المرزوقية**، تح: سلوى الزاهري، ط 1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2008.
- ابن مريم التلمساني، **البستان في ذكر الاولياء بتلمسان**، تح: محمد بن أبي شنب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986.
- مسلم بن الحجاج: **صحيح مسلم**، تح، أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، ط 1، دار طيبة للنشر، الرياض، 2006.
- المقري التلمساني، **أزهار الرياض في أخبار عياض**، تح: مصطفى السقا وابراهيم الأبيار وعبد الحفيظ السلي، مطبعة فضالة للنشر، المغرب، 1978، ج 2
- المقريزي تقي الدين،**المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، المعروف بالخطط المقرونة، ط 2، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 1987، ج 2.
- **<u>المراجع العربيةوالمعرّبة :</u>**
- إبراهيم القادري بوتشيش،**المغرب والأندلس في عصر المرابطين**، ط 1، دار الطبعة، بيروت، لبنان، 1993.
- إبراهيم القادريبوتشيش،**الإسلام السري في المغرب العربي**، ط 1، سينا للنشر، 1995.
- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي،(1500-1830)**، ط 2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1990، ج 1.
- إحسان محمد الحسن، **مبادئ علم الاجتماع**، دار وائل للنشر والتوزيع، ط 1، الأردن، 2005.

- انتوني جيدنز، **علم الاجتماع**، تر، فائز الصياغ، المنظمة العربية للترجمة، ط 4، 2005.
- خالد العربي، **ورقات زيانية، دراسات وأبحاث في تاريخ المغرب الأوسط في العهد الزياني**، دار هومة، الجزائر، 2014.
- خالد بلعربي، **الدولة الزيانية في عهد يغمراسن دراسة تاريخية حضارية (633-681 هـ/1235-1282 م)**، ط 1، اللامعية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.
- زيدان عبد الباقي، **علم الاجتماع الديني**، دار غريب، القاهرة، بدون ت.
- عبد الحميد الحلبي الأثري،**الدعوة السلفية بين الطرق الصوفية والدعاوى الصحفية**، ط 1، عمان، الأردن، 2007.
- عبد العزيز بن زيد آل داود،**تحولات التدين في المجتمع السعودي**، منشورات عيناء، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1430 هـ/2009 م.
- عبد الله الخريجي، **علم الاجتماع الديني**، سلسلة دراسات من المجتمع لعربي السعودي، دار رامتان، ط 2، المملكة السعودية، 1990.
- عبد الله مرتاض،**حركة الشعر في تلمسان على عهد أبي حمو الثاني**، مجلة الأصالة، ع 26، قسنطينة، الجزائر، 1975.
- عبد الهادي البياض، **الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الإنسان في المغرب والأندلس (ق 6-8 هـ/12-14 م)** ط 1، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 2008.
- عمار بوحوش، **التاريخ السياسي للجزائر عبن البداية ولغاية 1962**، ط 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997.
- سلوى علي سليم، **الإسلام والضبط الاجتماعي**، دار التوفيق النموذجية، ط1، القاهرة، أكتوبر 1985.
- صابرة خطيف، فقهاء تلمسان والسلطة الزيانية، ط 1، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.

- محمد العمراني،**كتب المناقب وترسيخ الاعتقاد في كرامات الصوفية**، مجلة الأمل، ع 35، 17 أفريل 2009، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المملكة المغربية.
- محمد الطاهر علاوي،**العالم الرباني أبو مدين شعب التلمساني**، دار الأمة الجزائر، 2011.
- محمد المنوني،**ورقات عن حضارة المرينيين**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2000.
- محمد حجي،**نظرات في النوازل الفقهية**، ط 1، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة، الرباط، 1999.
- محمد حجي،**الزاوية معلمة المغرب**، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، الرباط، 2001، الجزء 14.
- محمد حلمي عبد الوهاب: **ولاة وأولياء السلطة والمتصوفة في إسلام العصر الوسيط**، تق، رضوان السيد، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط 1، بيروت، لبنان، 2009.
- محمد عبد الله دراز، **الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان**، دار القلم للنشر والتوزيع، ط 3، القاهرة، 2010.
- محمد الغزالي، **مشكلات في طريق الحياة الإسلامية**، شركة نهضة، مصر، ط 7، مصر، أكتوبر، 2005.
- محمد محي عبد الحميد – محمد عبد اللطيف السبكي،**صحاح اللغة**، مطبعة الاستقامة، القاهرة، مصر، د ت.
- نبيل توفيق السمالوطي، **الدين والبناء الاجتماعي**، الجزء2، دار الشروق، المملكة العربية السعودية، ط1، 1981.
- نور لعروسي،**سيكولوجية التدين ومؤسسته في المغرب**، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، المغرب، د ت.
- **المقالات:**

- التازي عبد الهادي،**لماذا عيد المولد النبوي في المغرب الإسلامي والأسباب التي كانت من وراءه**، مجلة دعوة الحق، ع 277، الرباط، ديسمبر 1989.
- حسين الذهبي،**الدين والتدين**، مجلة البحوث الإسلامية، ع 1، 1395 هـ/1957.
- خالد بلعربي، **المجاعات والأوبئة بتلمسان في العهد الزياني (698-845 هـ/1299-1442 م)** دورية كان تاريخية، ع 4، يونيو 2009.
- خالد العربي، **حركة التصوف بتلمسان العهد الزياني (1235-1554)**، مجلة كتابات معاصرة، ع 26، نوفمبر 2007، لبنان.
- عدنان علي رضا النحوي، **مفهوم الدين بين الحقيقة والتحريف**، مجلة البيان، يصدرها المنتدى الإسلامي المملكة العربية السعودية، 1427 هـ/ العدد 228.
- عمر حمدادو،**ظاهرة المزارات والأضرحة بدمشق**، مجلة الثقافة الشعبية، البحرين، ع 27، السنة السابعة، خريف 2014.
- محمد حسين الذهبي، **الدين والتدين**، مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، العدد 1، 1395 هـ.
- محمد رشيد رضا، **الدين الدولة أو الخلافة والسلطنة**، مجلة المنار، 12 ربيع الثاني 1317 هـ 19 أغسطس 1899 م.
- مجلة البحوث الإسلامية، **الدين والتدين**، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، العدد 1، رجب-رمضان، 1395 هـ، المملكة العربية السعودية.
- نادر المتروك،**نهاية التدين وما بعد التدين**، صحيفة الوقت، البحرين، ع 4598، جمادى الأول 25/1428 ماي 2008.
- **<u>الموسوعات والمعاجم والقواميس العربية والأجنبية:</u>**
- أحمد زكي بدوي، **معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية**، مكتبة لبنان، بيروت، 1986.
- بكر زكي عوض (مؤلف جماعي)، **موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة**، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر.

- الزركلي خير الدين،**الأعلام**، ط 15، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ماي 2002، ج 5.
- عادل نويهض، **معجم أعلام الجزائر من صدر الاسلامحتى العصر الحاضر**، ط 2، مؤسسة نويهض للنشر، بيروت، لبنان، 1980.
- محمد عاطف غيث، **قاموس علم الاجتماع**، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2002.
- محمد عمارة، **قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية**،دار الشروق، بيروت، لبنان، 1993.
- محمد بن مكرم "ابن منظور"،**لسان العرب**، ط 1، دار صادر، بيروت، لبنان، د ت، ج 13.
- Dictionnaire Le Robert pour tous, paris, 1995.
- **<u>الرسائل الجامعية :</u>**
- محمد بوشقيف،**تطور العلوم ببلاد المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع هجري (14-15 م)**، رسالة ماجستير، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2010-2011.
- حفيظ كعوان، **أثر فقهاء المالكية الاجتماعي والثقافي بإفرقية من القرن (2-5 هـ/118 م)**، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة، 2009.
- حكيم ميلود،**الكرامة الصوفية في منطقة تلمسان: دراسة انتروبولوجيةسيميائية من خلال مدونة ابن مريم**، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 1997-1998.
- سراج جيلالي، **زيارة الأضرحة وأثرا في المعتقدات الشعبية**، مذكرة ماجستير في الأنثربولوجيا الثقافية، جامعة تلمسان، الجزائر، 2014-2015.
- فريد قموح، **الدرر المكنونة في نوازل مازونة لأبي زكريا يحي بن موسى بن عيسى**، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2010-2011.

- نميش سميرة، **دور أهل الذمة بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني من القرنيين (7 -10 هـ/13/16 م)** مذكرة ماجستير، جامعة بلقايد أبو بكر، تلمسان، 2013-2014.
- نور الهدى يحياوي،**تدين المرأة الجزائرية**، مذكرة ماجستير في الأنتروبولوجيا، جامعة تلمسان، 2004-2005.
- **المواقع الإلكترونية :**
- موقع وزارة الأوقاف المصرية http://www.islaic-council.com/ .
- موقعوزارةالأوقاف السعودية http://www.moia.gov.sa/.

# الفهرس العام:

**الفهرس العام :**

**كلمة شكر** .....

**اهداء 1**.....

**اهداء 2**.....

مقدمة .....أ – ز

**-الفصل الاول : ظاهرة التدين**..... 13-32

– المبحث الأول : تعريف التدين.....14

– المبحث الثاني : الفرق بين الدين والتدين.....23

– المبحث الثالث: الواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي .....25

**– الفصل الثاني : التدين الشعبي في تلمسان الزيانية**.....33-61

– المبحث الأول : التصوف الشعبي في العهد الزياني.....34

– المبحث الثاني : الإعتقاد في كرامات الاولياء.....39

– المبحث الثالث : تشجيع الدولة الزيانية للتدين الشعبي .....55

**– الفصل الثالث :التدين الرسمي في تلمسان الزيانية**.....62-89

– المبحث الأول : التصوف الرسمي في العهد الزياني .....63

– المبحث الثاني : أهم أقطاب التدين في العهد الزياني .....74

– المبحث الثالث : مظاهر تشجيع الدولة الزيانية للتدين الرسمي .....78

– خاتمة .....90-93

– البيبليوغرافيا .....94-102

– الفهرس العام .....103-104

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
- البويرة -
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Tasdawit Akli Muhend Ulhag - Tubirett -
Faculté des Sciences Sociales et Humaines

قسم التاريخ

# إذن بإيداع مذكرة التخرج بعد التصحيح

نحن الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة عن المذكرة :

الأستاذ المشرف (ة): ..... إبقو رحدا .....

الأستاذ المناقش (ة) : ..... سعودي فريدة .....

الأستاذ الرئيس (ة) : ..... فيلالي عبد الله .....

نأذن بإيداع مذكرة التخرج لنيل شهادة الماستر بعد تصحيحها

بعنوان: ..... ظاهرة التدين في المغرب الإسلامي بين .....
..... القرنين 7-9 هـ/ 13-15 م - تلمسان نموذجا .....
.....

والتي أعدها الطالب : ..... بوابتيني سليم .....

والطالب: ..... بوترعة مراد .....

المسجل بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ميدان : ..... علوم .....

تخصص : ..... تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط .

الموسم الجامعي : ..... 2022/2023 .....

| إمضاء رئيس اللجنة | إمضاء المناقش | إمضاء المشرف |
|---|---|---|

البويرة في : 2023/05/07